السنة الخامسة　　العدد ١١　　١ حزيران سنة ١٩٠٢

المشرق

شهادات عربيَّة في المزارات الفلسطينيَّة

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوحنا مرتا المرسل الرسولي في بطريركيَّة اورشليم اللاتينية

الفصل الاول

نبذة من كتاب البرهان للقديس بطرس السبسطيّ في اماكن شتَّى

كان القديس بطرس اخا القديسين العظيمين باسيليوس وغريغوريوس نيصص. وفي اواخر القرن الرابع اي نحو سنة ٣٨١ سُقِّفَ على مدينة سبسطية من اعمال ارمينية الصغرى. وكان اخوه القديس غريغوريوس قد ندبهُ الى تصنيف كتاب دحضاً لهرطقة إونوميوس الملحد (١. والذي يؤخذ من النسخة المقتطفة عنها النبذة الآتية انهُ قد لبَّى دعوة اخيهِ فوضع تأليفاً نفيساً سمَّاهُ « كتاب البرهان » أمعن فيهِ البحث عن وحدانية الله تعالى وجوهرهِ وعن تقاليد الكنيسة واسرارها وخدماتها المتنوعة وما شاكل ذلك من المواضيع المهمَّة مفنداً في أضعافها بالحجج اللامعة والبراهين الساطعة اضاليل الجاحدين لتجسُّد ابن الله وظهورهِ في العالم. ولعلَّ نسخةً او اكثر من هذا الكتاب بلغتهِ الاصلية لا تزال مكنونةً في زوايا احدى المكاتب الى الآن

ومهما يكن من ذلك فلا شكَّ ان كتاب البرهان قد نُقل الى اللسان العربي وان كان المترجم فيما أعلم هيَّ بن بيّ او غُفلاً (٢. والدليل عليهِ ان نسخةً من ترجمتهِ

١) راجع ما قالهُ البولانديُّون في اعمال القديسين في اليوم التاسع من كانون الثاني

٢) ورد في لسان العرب: « شاعرٌ غُفلٌ غير مُسمًّى ولا معروف والجمع أغفال وشعرٌ غُفلٌ

العربية كانت محفوظة في القرن السابع عشر بمدينة رومية في مكتبة القديس بطرس في الجبل الذهبي كما اكَّد ذلك العلَّامة الماروني النقاب الشهير ابرهيم الحاقلي الذي عثر على تلك النسخة وفحصها واقتطف منها نبذةً نراها من الاهمية بمكان لعدَّة وجوه. فانَّ حانك بردتها القديس بطرس في تضاعيف وصفهِ كنائس الاراضي المقدسة يشهد ايضاً برئاسة القديس بطرس الرسول اذ يدعوهُ «رأس الحواريين» ويصرّح بان السيد المسيح تناول العشاء الاخير في عليَّة كنيسة صهيون وانهُ «اكل فصح الناموس يوم فصح اليهود» فمن ثمَّ رسم السرَّ الالهي تحت اشكال الفطير لا الخمير. ثم يطلعنا على وجود كنائس في بعض المزارات (١ الفلسطينيَّة لم يَقُم الى الان دليل قاطع على وجودها في القرن الرابع ككنيسة زكريَّا والرُّعاة ونهر الاردنّ والجدل وجتسمنيَّ والكرسي وتانين وطور تابور وموضع الغنم اي بركة بيت حِسدا في اورشليم الى غير ذلك من الفوائد التي لم نستفدها من مصنِّفٍ قبلهُ. ولمَّا كانت هذه الدرَّة المكنونة جديرة بان يُتحف بها قرَّاء مجلَّة المشرق المنيرة ولاسيما المنقبين عن آثار فلسطين اوردتُها هنا نقلًا عن كتاب العلَّامة الحاقلي الموسوم «باوتيخيوس البطريرك الاسكندري» (٢. قال صاحب كتاب البرهان:

لا يعرف قائلهُ» ومثلهُ في القاموس والتاج. الَّا ان قولهم «شاعرٌ وشعرٌ» ليس بقيد وانما هو تخيل كدأب بعض اللغويين في مواضع لا تحصى والدليل عليهِ ما نقلهُ في الاساس وعنهُ في اقرب الموارد «وكتاب غفل لم يُسمَّ واضعهُ». فلا مانع اذًا من ان يقال «مترجم غُفْل» و«مصنّف غفل» وان لم تنصّ عليهِ المعاجم

١) «المزارات» جمع مزارٍ وردت في معجم فريتاغ ونقلها عنهُ صاحب محيط المحيط كألوف عادتهِ. وهذا الجمع وان اغفلتهُ كلّ الامهات فهو عربيٌّ وجدتهُ في تصانيف الفصحاء لان مذكر غير العاقل يجمع قياساً بالف وتاء كما سابينهُ ان شاء الله فيقال آن وآنات وطاس وطاسات وشَبُّور (بوق) وشبُّورات واعتقاد واعتقادات ومنتزهٌ ومنتزهات وهلمَّ جرًّا خلافًا لجمهور النحاة الذين قصروه على السماع

٢) « Eutychius Patriarcha Alexandrinus . . . Auctore Abrahamo Ecchellensi Maronita e Libano. Roma 1661 pp. 234 — 236.

انظر ايضاً فهرس الكتاب حيث ذكر الحاقلي نسخة «كتاب البرهان» التي ظفر بها في

« تشهد كنيسة الناصرة (١ من جليل الاردن (٢ ببشرى جبرائيل رأس الملائكة مريم بالحبل بالمسيح :

« وتشهد كنيسة زكريّا من كورة ايليا (٣ بقدوم مريم الى نسيبتها اليصابات .

« وتشهد كنيسة بيت لحم بولد المسيح فيها من مريم العذراء في مغارة (٤ .

---

١) روى نكيفورس كليستوس في تاريخهِ الكنسي ان القديسة هيلانة قد شادت في الاراضي المقدسة نيفًا وثلاثين كنيسة من جملتها كنيسة الناصرة . واستبعد بعضهم هذا العدد لكني لست اراهُ بعيدًا عن الصحة لان القديسة هيلانة وان لم تتمكن من تشييد كل هذه الكنائس حين اقامتها الوجيزة في فلسطين فليس يبعد انها امرت او اذنت بعمارتها وجادت هي وابنها الملك قسطنطين بالنفقات اللازمة . نعم ذكر القديس ابيفانيوس ان اليهود كانوا يمنعون النصارى والسَّمَرة من السكنى في بعض اماكن الجليل ولا سيا طبرية وصفورية والناصرة وكفرناحوم لكنهُ قد روى ايضًا ان يهوديًا من اشراف طبريّة اسمهُ يوسف كان قد تنصّر فانعم عليهِ الملك قسطنطين بلقب قومس (comes) . ولما استأذن الملكَ في بناء الكنائس في مدينة طبريّة وصفورية وكفرناحوم وسائر مدن اليهود وقراهم لم يأذن لهُ في ذلك فقط بل امدَّه على الاثر بالمال الدثر (مجموع الاباء اليونان طبعة مين ج ١٤ ص ٤١٠ و٤٢٦ و٤٢٧) . ويحتمل ان باني جميع كنائس الجليل المذكورة في كتاب البرهان او اكثرها هو هذا القومس الطبراني الذي نظمتهُ الكنيسة في سلك قديسيها وتعيد لذكره في ٢٢ تموز

٢) قال اوسابيوس والقديس ايرونيموس في « الانوماستيكون » وهو معجم الاماكن العبرانية : « الجليل اثنان احدهما يسمّى جليل الامم يُتاخم الصوريين حيث اعطى سليمان عشرين مدينة لحيرام ملك صور في سبط نفتالي . والاخر يمتدُّ حول طبريّة وبحيرة جنّاسر في سبط زبولون » وهو الذي يسميه كتاب البرهان « جليل الاردن » وكانت الناصرة من اعمالهِ . وربما اطلق المتقدمون اسم الجليل على ما في عبر الاردن والبحيرة . قال اشعيا النبي (٩ : ١) ومتّى (٤ : ١٥) « عبر الاردن جليل الامم » وصرّح اوسابيوس القيصراني وبروكوبيوس الغزّي وغيرهما في شرح هذه الآية ان الارض التي في عبر الاردن يقال لها ايضًا ارض الجليل . وجاء في الترجمة السبعينيّة (اشعيا ٣٣ : ٩) لفظة « جليل » عوض « باشان » وقد استعملها بهذا المعنى يوسيفوس فلاڤيوس والتلمود الذي جعل بانياس وجاملا (Gamala) من اعمال الجليل . وكلاوديوس بطلميوس (في القرن الثاني للمسيح) قد نظم مدينة يُولياس (Bethsaida Julia) في مدن الجليل مع كونها من اعمال « الجولان » في عبر الاردن (Relandi Palaestina, I. 2, c. 10)

٣) دعيت اورشليم « ايليا » باسم ايليوس ادريانوس ملك رومة . والقرية التي زارت فيها مريم العذراء نسيبتها اليصابات هي « عين كارم » كما سيأتي بيانه في تتمة هذه الشهادات .

٤) وفي هذه المغارة عينها سجد ملوك المجوس للطفل يسوع كما نصّ عليهِ القديس ايرونيموس . وانبأنا اوسابيوس القيصراني وغيره من المؤرخين ان القديسة هيلانة وابنها قسطنطين قد بنيا على

« وتشهد كنيسة الرعاة قريباً من بيت لحم ببشرى الملاك الذي بشّر الرعاة (١ .
« وتشهد كنيسة نهر الاردن بعمودية المسيح في ذلك النهر .

المنارة التي وُلد فيها مخلصنا الالهي كنيسة بديعة الجمال . ووصفها الشريف محمد الادريسي كما كانت في زمانهِ (اي سنة ١١٥٥م) بقولهِ في كتاب نزهة المشتاق :« كنيسة حسنة البناء متقنة الوضع فسيحة مزيّنة الى ابعد غاية حتى انهُ ما أُبصر في جميع الكنائس مثلها بناء . وهي في وطإٍ من الارض ولها باب من جهة المغرب وبها من اعمدة الرخام كلُّ مليحة وفي رأس الهيكل من جهة الشمال المنارة التي ولد بها السيد المسيح وهي تحت الهيكل وداخل المنارة المذود الذي وجد بهِ » . وكانت هذه الكنيسة في القرن الخامس عشر خاصة رهبان القديس فرنسيس مع مزاراتها والدير العظيم المحدق بها . فلمّا رأوا ان سقفها استرمَّ استأذنوا جلالة السلطان بترميهِ فصدرت الاوامر السنية على يد « مير ازبك » آذنة لهم بذلك فجلبوا حينئذٍ من مدينة البندقية على سفينتين خُشباناً لم يرَ الاورشليميون اغلظ ولا اطول منها . فتبرّع اذ ذاك ملك انكلترة بمقدار وافر من الرصاص فتسنّى لاولئك الرهبان الاجلّاء تجديد سقف الكنيسة داخلًا وظاهراً على غاية الاتقان سنة ١٤٨٠ كما افاده الشاهد العياني حضرة الاب فرنسيس سُريانو الذي تقلّد غير مرّةٍ الرئاسة العامة على الاراضي المقدسة (Il trattato di Terra Santa e dell'Oriente di Frate Francesco Suriano. *Milano*, 1900, pp. 116 e 112) وبعد اصلاح الكنيسة بنحو اربع عشرة سنة وصفها القاضي مجير الدين الحنبلي في « كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » بقولهِ :« كنيسة محكمة البناء بها ثلاثة محاريب مرتفعة احدهما موجه الى جهة القبلة الشريفة والثاني الى جهة الشرق والثالث الى جهة الصخرة الشريفة وسقفها خشب مرتفع على خمسين عموداً من الصخر الاصفر الصلب غير السواري المبنية بالاحجار وأرضها مفروشة بالرخام وعلى ظاهر سقفها رصاص في غاية الاحكام وهذه الكنيسة من بناء هيلانة والدة قسطنطين كما تقدم وفيها مكان مولد عيسى عليهِ السلام وهو في منارة بين المحاريب الثلاثة والنصارى فيها اعتقاد ويرد اليها من بلاد الافرنج وغيرها الاموال لها وللرهبان المقيمين بالدير المجاور للكنيسة » (ص ٤١٤) . واما « مير ازبك » الذي نوّه بذكره الاب سُريانو فقد ذكرهُ مجير الدين غير مرّةٍ بهذه العبارة « الامير ازبك امير. كبير » (ص ٦٧٧ و ٦٧٨)

١) نقل نكيفورس المؤرخ ان القديسة هيلانة شادت في ذلك الموضع ثلاث كنائس على اسم الملائكة ومريم العذراء والقديس يوسف خطيبها . واغفل كنيسة الرعاة(* . وقال ايضاً الادريسي المذكور انفاً :« اذا خرجت من بيت لحم نظرت في الشرق منهُ كنيسة الملائكة الذين بشروا الرعاة بولادة السيد المسيح » . ومع ذلك فلا ريب في وجود كنيسةٍ ثَمَّ على اسم الرعاة كما افادنا « كتاب البرهان » والقديس الاسقف أركولف ومئات من الزوار من القرن ٧ الى ١٩ . قال القديس اركولف (نحو سنة ٦٧٠) انهُ تردّد الى زيارة قبور الرعاة الثلاثة داخل كنيستهم القائمة حيث بشرهم الملاك في جانب برج « عِدر » اي برج القطيع (تكوين ٣٥ : ٢١) الذي مسافتهُ عن

---

*) ولعلَّ كنيسة الرعاة هي كنيسة الملائكة (المشرق)

« وتشهد كنيسة المجدل (١ قريباً من طبريّة باخراج المسيح سبعة شياطين كانوا في مريم المجدلية .

« وتشهد كنيسة جنّسر (٢ بان المسيح بارك هناك خمس خبزات وحوتين فاشبع منهم خمسة آلاف رجلًا (كذا) .

بيت لحم نحو ميل لجهة الشرق . ولمّا زار الاب ريكولد الدومينيكي نحو ١٢٨٨ محل الرعاة وهو « في الميل الثالث » عن بيت لحم وجد فيهِ « ردماً عظيماً لكنائس بُنيت هناك تذكاراً للرعاة »

١) زعم بعضهم ان مريم المجدلية وُلدت في حدود مدينة عكّاء . كما رواه ڤلبراند من ألدنبرج (سنة ١٢١١) . والصحيح ان المحل المنسوبة اليهِ هو قرية المجدل التي تبعد عن طبريّة نحو ثلاثة اميال الى الشمال . فيها وُلدت مريم المجدلية كما نصّ عليهِ تاودوسيوس (في القرن ٦) والنُقَل اللاتيني الذي نشره دي ڤوكوي في « كنائس الارض المقدسة Les Eglises de Terre Sainte » ويوحنا من ڤيرزبرج وتاودوريكس (سنة ١١٧٢) وغيرهم . قال الاب الدومينيكي بروكارد (نحو سنة ١٢٨٣) : « المجدل قرية مريم المجدلية ورأيت فيها بيتها ودخلتهُ » . وفيها اخرج المسيح السبعة الشياطين من المجدلية (لوقا ٨ : ٢) كما صرّح بهِ القديس بطرس السبطي ورابان مورُوس في حياة القديسة والراهب ايفانيوس المعروف بالمقدسي ودانيال الزائر الروسي (سنة ١١٠٧) وغيرهم وذهب جماعة من الشرّاح ان هذه القرية هي التي عناها متّى الانجيلي (١٥ : ٣٩) بقولهِ : « واتى الى تخوم المجدل » كما في بعض الترجمات . الّا انّ نسخ اليوناني والترجمات قد اختلفت في لفظها فقيل فيها « مَجدلا ومَجدلان ومَجدَن ومَجدَم ومَجدا » كما في طبعة (Tischendorf) وما يُستدرك بهِ على هذه الطبعة « مَجدَو » كما في السريانية البسيطة و« مَغدوا » كما في الدياطاسرون المنسوب لطاسيانوس (ed. Ciasca) و« مغدو » كما في ترجمة ابن العسّال التي وجدتُها في القدس الشريف . فمن ثمّ ذهب بعضهم الى ان متّى الانجيلي لم يعن وطن مريم المجدلية وانما اراد مكاناً آخر في عبر الاردن يقال لهُ اليوم « ماعاد » وهو عن بحيرة طبرية نحو اربعة عشر كيلومتراً الى الجنوب . خصوصاً وبين « ماعاد » وبين البحيرة محل يسمّى « الدلهميّة » التي يقارب لفظها « دلمانوتا » الواردة في انجيل مرقس (٨ : ١٠) انظر ترجمة (Dalmanutha) للاب المدقق ڤان كاسترن اليسوعي في معجم التوراة الفرنسيّ الساعي بنشرهِ الاب العلّامة الشهير ڤيكورو

٢) ارض جنّاسر (متّى ١٤ : ٣٤) بقعة غربي البحيرة تُعرف اليوم « بالغُوَير » . قال تاودوسيوس المشار اليهِ : « من المجدل الى العيون السبعة حيث عمّد السيد المسيح الرسل ميلان وهناك اشبع الشعب بخمسة ارغفة وسمكتين » . ووافقهُ على ذلك ابيفانيوس المذكور وصاحب النُقَيل الذي عنوانهُ « ذكر اديار الله » (Com. de Casis Dei) وطائفة من حجّاج الارض المقدسة الذين يلقبون ذلك المحل بلفظة يونانية « اِبتابغون » معناها « سبعة عيون » وعرّبها الاهالي منحوتةً فقالوا فيها الى يومنا « الطّابغه » . ولكن يؤخذ من انجيل يوحنّا (٦ : ١و٩) ان هذه الاعجوبة قد جرت في عبر بحيرية طبرية . واماّ العيون السبعة او « الطّابغه » فالظاهر انها المكان

« وتشهد كنيسة كفر نحوم قريباً من بحر طبرية بان المسيح ابرأ فيها رجلا يابس اليد (١ .

« وتشهد كنيسة بانياس من الحُولة (٢ ان الامرأة المستحاضة اثني عشر عاماً قد برئت من نذفها .

« وتشهد كنيسة الكرسي في بحر طبرية (٣ بانهُ ابرى المجنون الذي يُسمَّى

الذي اشبع فيهِ المسيح اربعة آلاف رجل سوى النساء والصبيان بسبعة ارغفة ويسير من السمك (متَّى ١٥ :٣٤) كما حكاه نكيفورس المؤرخ . والذين جعلوا مكان الارغفة الخمسة غربيَّ البحيرة انما اغترُّوا فيما يلوح لي بمشاكلة الاعجوبتين

١) جرت هذه الاعجوبة يوم السبت في مجمع اليهود (متَّى ١٢ :٩ ومرقس ٣ :١ ولوقا ٦ :٦) الذي كان في كفرناحوم (لوقا ٤ :٣١) . وهل هذه المدينة هي « خان منية » ام « الطابغة » ام « تلحوم » اراء العلماء اصحُّها عندي رأي الذاهبين الى انها « تلحوم » وهي في الضفَّة الغربية على ثلاثة اميال عن مصبّ الاردن في البحيرة

٢) مدينة بانياس معروفة في الانجيل « بقيصريَّة فيلبس وهي من اعمال الحُولة » . قال شمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري (٤١٤ هجرية) « ولدمشق ستُّ رساتيق : الغوطة . حوران . البثنية . الجولان . البقاع . الحولة » . ذهب جماعة من العلماء ان الحولة منسوبة الى « حُول » ابن ارام المذكور في سفر التكوين (١٠ :٢٣) « وبنو أرام عوص وحول وجاثر وماش » . والبحيرة التي بين بانياس وبحيرة طبريَّة تُعرف الآن « ببحر الحُولة » ويقال لما حولها « ارض الحولة » . واسم هذه البحيرة في سفر يشوع بن نون (١١ :٥ و٧) هو « مياه ميروم » وعرفت عند القدماء ببحيرة « سموكُون » كما في يوسيفوس الذي ذكر ايضاً Οὐλαθά « حولة » مع بانياس في العاديَّات اليهودية (١٥ :١٠) والمرأة التي ابرأها المسيح (متَّى ٩ :٢٠) كانت من بانياس واسمها « تَريوسا » او « فيرُونكا » كما قيل . وكانت قد شادت في وطنها كنيسة واقامت تمثالًا ليسوع المسيح شكرًا وتخليدًا لما انعم بهِ عليها كما افاده اوسابيوس القيصراني وسوزومين وتاودوسيوس والمؤرخ يوحنا ملالا (مين ٩٧ :٢٦٧) والقديس يوحنا الدمشقي (مين ٩٤ : ١٢٧٠ الخ)

٣) قال الفيروزابادي في ترجمة كرسي : « والكرسيُّ قرية بطبرية جمع عيسى عليهِ السلام الحواريّين فيها وأنفذهم الى النواحي » . وزاد صاحب التاج : « وفيها موضع كرسي زعموا انهُ صلوات الله عليهِ جلس عليهِ » . وهذا الموضع الى يومنا في عبر البحيرة يُعرف بالكرسي او كرسا وهو معرّب « جرجيسا » المنسوبة اليها بقعة الجرجسيين (متَّى ٨ :٢٨ ومرقس ٥ :١ ولوقا ٨ :٢٦) كما نصَّ عليهِ طائفة من الآباء منهم اوريجانس واوسابيوس القيصراني والقديس ايرونيموس ويوحنا اسقف اورشليم وبعض الزوَّار كيوحنا من فرزبرج والنُقل اللاتيني في تصنيف دي فوكوي المتقدم ذكره

كُردوس (١

« وتشهد كنيسة نائين من الفلجة (٢ بان المسيح اقام فيها ميتًا وحيدًا لامرأة ارملة .

« وتشهد كنيسة طور تابور بان المسيح صعد على ذلك الجبل ومعهُ ثلاثة من تلاميذه فيهم بطرس رأس الحواريين ويعقوب ويوحنا ابني زبدى وتجلّى بين ايديهم (٣ .

---

١) كان اسم المجنون الذي ابراه السيد المسيح λεγιών (مرقس ٥ :٩) او λεγεών (لوقا ٨ :٣٠) لفظة يونانية عرّبها المترجمون فقالوا فيها « لئيون » كما في الدياطاسارون المذكور (ص ٤٥) او « لاجيون » او « لاجاون » او « لجيون » كما في ترجمة ابن العسّال وحواشيها ونسخة توما ابن الصائغ التي وجدتُها في القدس الشريف . « واللجيون » عند الرومانيين عبارة عن جيش من ستة آلاف رجل . ففسرها مترجم « كتاب البرهان » بلفظة « كُردوس » وهو الكتيبة او قطعة من الخيل او القطعة العظيمة منها كما في المعاجم العربية

٢) الفلجة التي كانت نائين في رستاقها لم ارَها مذكورة في غير كتاب البرهان . فاملَّ اهالي فلسطين (وكانت السريانية لغتهم في القرن الرابع وقبلهُ) قد ابدلوا اسم الفلجة من نهر « فيشون » (سفر القضاة ٤ :٧ و ١٣) اي نهر « المتطع » الذي يخرج في ارض « إكسال » بقربة من طور تابور آخذًا الى نائين ثم ينحرف الى المغرب فالشمال مخترقًا مرج ابن عامر حتى ينصبّ في البحر المتوسط بجانب مدينة حيفاء . فمن خواصّ هذا النهر ان مياههُ لا تداوم الجريان الّا في جزئهِ الادنى . واما جزؤهُ الاعلى ذو النواحر والسواعد فيستمرّ يبسًا في اكثر فصول السنة ولا يجري فيهِ الماء الّا عند هطلان الامطار فكأنهُ نصف نهر او قطعة منهُ . وعليهِ فليس ببعيد انّ الفلسطينيين قد سمّوهُ قبل الهجرة بنهر الفلجة التي معناها . بالسريانية « جزء وقطعة ونصف » ثم لقبتهُ العرب بنهر « المقطّع »

٣) ليس بطرس السبسطي اول من نصَّ على ان طور تابور هو جبل التجلّي . فقد سبقهُ اليهِ اوريجانس في القرن الثالث والقديس كيرلّس الاورشليمي في الرابع . وشهد بصحّة هذا التقليد القديس ايرونيموس والقديس بروكلس تلميذ القديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس اسقف تافر وتاودوسيوس المذكور وانطونيوس من بياشنسا وانستاسيوس السيناويّ والقديسون اركولف وڤليبالد والمكرّم بيدا ويوحنا الدمشقي وتوما الاورشليمي مع عدد لا يُحصى من الزوّار والمؤرخين ومفسري الكتاب المقدس . واثبتهُ التكار الروماني وسنكارات الطقوس الشرقية وصلواتها . ولا تجد دليلًا كتابيًا او شاهدًا تاريخيًا « يمكنهُ ان يستأصل او يقوّض اركان هذا المذهب » كما صرّح بهِ العلامة الشهير ادريانوس ريلاند (Palaestina Illustrata, l.1,c.51). فلا عبرة اذًا بقول طائفة من الشُرّاح وغيرهم في هذه القرون الثلاثة الاخيرة (وقد مال الى مذهبهم ريلاند المذكور) ان المسيح لم يتجلَّ على طور تابور بل على جبل « حرمون » اي جبل الشيخ او موضع آخر في نواحي باناس

« وتشهد الكنيسة التي يقال لها موضع الغنم في ايليا ان المسيح دخل ذلك الموضع وفيه جماعة مرضى وفيهم رجلٌ مقعدٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنة فابرأهُ المسيح (١ .

« وتشهد كنيسة القيامة في ايليا وموضع تلك الجلجلة المقدسة بان المسيح خلص ذريَّة آدم باحتماله الصليب.

« وتشهد غرفة صهيون المقدسة ايضاً بان المسيح دخل على تلاميذهِ وهم فيها من بعد قيامتهِ وابوابها مغلقة .

« وتشهد كنيسة جبل صهيون المقدس بان المسيح اكل فصح الناموس في غرفتها يوم فصح اليهود (٢ »

انتهى كلام القديس بطرس السبسطي

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

دفن الموتى عندهم

اذا اراد المندائي ان يموت(٣ ينزعون عنهُ ثيابهُ ويُريقون على رأسهِ ماء فاترًا اذا كان في الشتاء وماء بحرارتهِ الطبيعية اذا كان في غير وقت الشتاء. ويغسلون جسمهُ من فوق الى اسفل. ومنهم من يأخذ المحتضر الى ماء جارٍ في نهرٍ او جدولٍ او ساقية ويغسلونهُ

---

١) سيأتي الكلام على كنيسة موضع الغنم وما يليها من الكنائس الاورشليمية في فصل على حدة سنعقده لمدينة اورشليم ومزاراتها

٢) لم يتأتَّ الى الآن للباحثين عن الآثار الفلسطينية الوقوف على شهادة قبل القرن الخامس تصرّح بان « الغرفة الكبيرة » (لوقا ٢٢ : ١٢) التي اكل فيها يسوع المسيح الفصح الاخير كانت في « جبل صهيون ». وعليهِ فتصريح القديس بطرس بذلك هو في غاية النفاسة

٣) هذا من تعبير العرب الانيق الخاصّ بلغتهم. فانهم يقولون : « اراد الحائط ان يقع » اذا مال . و« فلان يريد ان يموت » اذا كان محتضرًا وهو من باب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلًا في الحقيقة عن المزهر (١ : ١٥٨) وهذا النوع من التعبير شائع ذائع في بغداد ولم يذكرهُ من اصحاب المعاجم العربية الّا صاحب التاج

غسلًا نعمًا ثم « يَبْرُخ » اي يُبارك ويُسبّح . واذا كان لا يستطيع ان ينطق بشيء من عنده يُلقّنهُ احد « الإشكَندات » وبعد ذلك يُلبَس الرستة (١ ثم يُعاد الى فراشه ليستعدّ للموت

هذا واذا فاجأ الموت المريضَ او مات على غرَّة بدون مرض فلا يُغسَّل لان الغسل موضوع عندهم لمن به حياة والَّا فان كانت النفس قد فارقتهُ فالغسل عندهم لا يُفيد فائدةً لانهم يزعمون ان الجسم بلا نفس عبارة عن تراب مجموع او طين مجبول ولمَّا كان الماء لا يُنظِّف الطين وان غُسل مرارًا بل يبقى طينًا فكذلك تكون حالة الانسان بعد موته . والذي يتولَّى غسل المحتضر « الإشكَندا » وهو بمنزلة الشماس عند النصارى واذا كان المحتضر من الاناث فيتولَّى غسلها « إشكَندة » من جنسها

واذا مات الصابئ وُضعت جثَّتهُ على فراش بحيث يكون رأسهُ مقابلًا أوَاثر (اي نجمة القطب) ورجلاهُ مقابلتين الجنوب . ثم يُهيَّأ لهُ نوع من الحصير يكون صنعها على هذا الوجه : يؤخذ سبع حُزَم من البَرْدِيِّ فتوضع متباعدة الواحدة عن الاخرى بحيث تكون بشكل حصير وكافيةً للفّ الجثة بها . ثم تُشدُّ هذه الحزم بخيوطٍ متَّخذة من خوص النخل المفتول . وبعد ذلك تُلَفّ الجثة بها ثم توضع على نعش يُسوَّى كما يأتي : تؤخذ ثلاث جرائد من جرائد النخل متفارقة الواحدة عن الاخرى ويُمدّ عليها قصب مقدارًا كافيًا فيوثَّق بالجرائد . وبعد ان يتمَّ هذا كلهُ توضع الجثة على هذا النعش البسيط وبينما اهل البيت يُهيِّؤون ما يحتاج اليه لدفن الميت يذهب واحدٌ من اقاربه او من اصدقائه بنعاهُ للترميدا ويطلب منهُ ان يأتي ويحمل السدرًا وراءهُ . فيجيء الترميدا « بالدَرَفشا » وهو علَم ابيض مُتَّخذ من القزّ فيغرسهُ في ارض البيت (والارض في دُور

---

١) امَّا تفصيل الرَّسْتة او الحُلَّة الدينية فليس محلّها هنا . وما ذكره حضرة الاديب نيقولا السيوفي يغلب عليهِ الوهم والخطأ وقلة التحقيق والتدقيق في مندرجات كتابهِ . وقولهُ « ان الرستة عندهم من منشأ إلهي ومصدر انجيلي (ص ١٢٦) » هو كلام موضوع . وعندهم ان الرستة اتى بها « هيقل زيوا » من « آبًا دنهورا » ليقطعوا عليها ثيابهم الدينية . وذكر حضرة السيوفي ان الرستة هي بمنزلة الكفن للصابئة المحتضرين وحُلة الكهنة في قضاء امور الدين » قلنا بل هي الحلة الدينية بوجه الاطلاق يلبسها جميع المندائية من رجال ونساء من صغار وكبار في الامور الدينية وفي ايام الاعياد المشهودة

الصابئة غير مُبلَّطة) ثم « يَبني رَهمَه » اي يُصلّي صلاة يطلب بها رحمةً من الله لنفس الفقيد واذا انتهى من الصلاة يدنو منهُ إشكندا فيضع يدهُ بيد رئيسه ويتلو صلاةً (١. ثم يجرّ يدهُ ويذهب الترميدا ؤيحمل الدرفشا والسدرا ربَّما هو او غيرهُ ثم تحمل « الطريانة » (وهي المواقد) ثم يتهيَّأ الموكب للذهاب الى المقبرة

وفي مطاوي ذلك يتقدَّم اربعة من الحلاليَّة (اي الاشكندات) من الذين قد اشتهروا بصلاحهم فيسوُّون « مَندلتَة » وهي عبارة عن قصبٍ يغرزونهُ في الارض على رزدَقٍ واحدٍ ثم بعد ذلك يقسمونهُ ثلاث قسم ويربطون كل قسمة بخيطٍ من خيوط الخوص او البردي او نحو ذلك لكن بدون ان يقطعوهُ . وتكون هذه المندلتة بعيدة عن جثة الميت بعداً كافياً يُمكّنهم من ان يجولوا حولها . ثم يتقدَّم هؤلاء الاربعة الحلالية ويحملون نعش الميت رافعيه فوق رؤوسهم وهم يمشون الواحد وراء الواحد ولا يجوز لهم ان يمشوا غير هذه المشية ثم يعبرون به فوق تلك المندلتة . امَّا الرابع من حاملي النعش فمن بعد ان يجوز المندلتة مع اصحابه يعود على عقبه ويقف وراء المندلتة فيضع عليها طيناً ويقطعهُ بسكينٍ قطعاً مستديراً ثم يختمهُ بخاتم منقوش عليه صُور اربعة حيوانات: حية واسدٌ وعقرب وزنبور(٢ . وعند وضع الخاتم يطلب لنفس الميت الصفح والغفران (٣ ثم يرفع الخاتم ويذهب فيلحق بحاملي الميت الثلاثة فيكون رابعهم الى ان يصلوا الى محلّ الدفن فيُنزلون الميت من على رؤوسهم ثم يتقدَّم صاحب الختم ويمسك بيده مسحاةً ويسحي من مكان الدفن ما يملأها ويقول ما قالهُ عند ختمه المندلتة ثم يُلقي ملء المسحاة الى وراء كتفه الايسر من فوقه . ثم يخطو خطوة ثانية وثالثة ويفعل ما فعل في المرَّة الاولى وبذلك يكون قد عيَّن القبر ومكان الدفن وحدودهُ . وبعد ان يكمل هذا يتقدَّم الحفَّارون فيحفرون القبر بموجب الحدود المذكورة والترميدا من بعيد يقرأُ في

١) وهذا منطوق الصلاة : « بِي وَاشكَا أَمرْ وَآتَـا أُشرِي إِبتَـمَد مْشَبتَـتَن نِحوِيلَخ أَدْبَاوُرا وِبـِماخا مْبرقانا وْمشوزْبانا بَشْرا رَبًّا رَبًّا دَنهُورا وْبدَوْرا نْاقنا . مْشَبَّن هَيّ »

٢) فالحية رمز الى الأُور والاسد الى أَشدُوم والزنبور رمز الى كَّاف وكافان . والعقرب رمز الى سركي وسركاني

٣) وهذه صلاتهُ بالحرف : « بُشمَيهَن دَهَيي رَبِي لوفَا وَروَاهَا دَهَيي شَاوَقْ هطَايي نِحوِيلي لنهَازَا نِشبتِي أَبلَنَ بَر أَبلَن وَهَازَا مَسقتَنا شَاوَقْ هطَايِي نِحوِيلي

السدرا رَبَّا وامامهُ الدرفشا وبعد ان يُحفر القبر يُنزل الميت في الحفرة ويكون وجههُ ناظرًا « أوَاثر » ورجلاه متجهتين نحو الجنوب وحينما ينتهي الترميدا من صلاته في مثل هذه الحالة يُلقي على الميت تراب بقدر ما يُغطيه ثم يعود الى القراءة فيتقدم الحاضرون الى دفنه بالتمام ويدنو صاحب الختم ويختم القبر عند رأسه ويكون ذلك في التراب نفسه

ثم يرجع جميعهم الى بيت الميت فيغتسل الحلاليَّة وكلٌّ من كان معهم وكذلك يغسلون جميع الادوات التي كانت معهم الَّا الترميدا فانهُ لا يفعل ذلك لانهُ لم يشاركهم بمسّ الميت. وبعد ان يعود الحلالية من النهر يُهيَّأ الطعام والنساء اللواتي يطبخنهُ يلبسنَ الثياب البيض لانهنَّ يعملنَ عملًا دينيًا. وعند ما يتناول الحضور الطعام يأمرهم الترميدا فيأخذون لقمة بايديهم فيقرأ الرئيس « لوفاني » وهي نفس الصلاة التي ذكرناها عن خاتم القبر. وفي مطاوي القراءة يكون الآكلون قعودًا لا وقوفًا وهم يكررون ما يُلقى على مسامعهم وبعد ذلك يسترطون اللقمة المذكورة. وتدوم الوضيمة اربعين يومًا ولو كان المدعوُّ واحدًا لا غير وكان الطعام شيئًا لا يُذكر وهو ما يُرى في الفقراء. والسبب في ذلك هو لان المسافر في طريق الآخرة يلزمهُ شيء من ذلك على يد «بتاهيل» والَّا فان لم تُقدَّم سُفرة عن روحه يُنقطع به فيقف دون طيّ الطريق وعلى هذا الوجه ينال بعض العذاب

ويزعم الصابئة ان نفس الميت تتردد بين القبر وداره مدَّة ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث يُفضُّ الخاتم وتُنزَع « المندلتة » وعندئذ تبتدئ نفس الميت بالسفر ويدوم ٤١ يومًا وبعد هذه المدَّة تصل الى سور المطراتي وهو سور عظيم من حديد. وبعد ان تتعدَّاهُ تُرى امام الأور وهو من الروحانيين الراجعين الى مملكة الظلمة وهو واسع الفم فاغرهُ غير انهُ يُسدّ سدًّا محكمًا حينا يرى نفس صالح. وينفتح شدقاهُ كلَّ الانفتاح اذا رأى نفس طالح فيبتلعهُ . (قلت) وهذا عندهم بمنزلة الدينونة

وقد ذكر حضرة الاديب نيقولا السيوفي ان اصحاب الميت لا يزورون احدًا في مدة الشهرين الاولين من موت الفقيد (ص ١٢٥) فهذا كلام لا اصل لهُ. وندب الميت عندهم ممنوع كلَّ المنع الَّا ان وجودهم بين العرب ادخل هذه العادة. والمفروض في دينهم ان يطلبوا من بعض كهنتهم ان يذهبوا الى قبر المتوفَّى ليقرأوا عن نفسه أورادًا من اسفارهم الدينيَّة ترويحًا لنفسه في رحلته الأُخروية فيدفع اصحاب الفقيد لهؤلاء الكهنة اجرة مبلغها ليرة او اكثر

هذا ملخّص ما يجري في مذهب هؤلاء القوم من سُنن دفن موتاهم

واذا كان المتوفي من اكابر ملّتهم فكثيرًا ما يُسجلون تاريخ موتهِ ويذكرون لمعةً من ترجمتهِ. امّا التاريخ المستعمل عندهم فهو تاريخ الهجرة لا غير ويحسبون الشهور حسابًا شمسيًا. وما ينقص السنة الهجرية ليساوي السنة الشمسيَّة يزيدونهُ مرَّتين في السنة في المرَّة الاولى يزيدون خمسة ايام وثنيًا بين الشهر الثالث والرابع وخمسة أيّام بين الشهر الثامن والتاسع. وهذا ما سمَّاهُ العرب الاقدمون بالأزدلاف وكُتّاب العصر بالتحويل(١. وقد أكّد لي بعض المحقّقين من اصحاب هذه النحلة ان المندائية كانوا في بادئ الامر يؤرخون وقائعهم بتاريخ ولادة يوحنًّا المعمدان لكن لاسباب عديدة أبدلوهُ بتاريخ الهجرة. غير اني لم اعثر الى هذا اليوم في كتبهم على تاريخ يؤيد هذا القول والذي وجدتهُ في ما يُربي على ثلاثين كتابًا او دَرَجًا تاريخ الهجرة لا غير وهكذا يرى الفاحص لكتبهم الموجودة في باريس ولندن ولا يجد اثرًا لتاريخ آخر سواه (٢

---

١) لم يذكر هذين اللفظين اصحاب المعاجم وقد ذكرهما صاحب شفاء الغليل (ص ٢٨)

٢) الظاهر ان المرحوم نيقولا السيوفي لم يكن يُحسن قراءة اللغة المندائية وبحجّةٍ اقوى لم يكن يفهمها. فانهُ قال في كتابهِ (ص ١٤١) انهُ لم يسأل استاذه عن التاريخ المتخذ عندهم وبالتالي لا يعرفهُ. فلو كان يحسن القراءة لطالع كُتب المندائية الموجودة في باريس فان التاريخ فيها صريح واضح وانا على ما نقولهُ دليلٌ ثانٍ وهو ان ما نقلهُ من الصابئيَّة الى الافرنسية يغلب عليهِ الخطأ والغلط والظاهر انهُ ما كان يترجم الَّا ما كان يقولهُ أُستاذه إنْ صحيحًا وان خطأ بغير تمحيص كلامهِ وتلخيص المعنى منهُ. واليك دليل ثالث وهو ان في العبارات تقديمًا وتأخيرًا ممَّا لا يجوز فعلهُ ولو كان الكاتب يعقل ما يعمل لما فعل. وفي هذا كفاية لتعرف أنَّ الشيخ ابرهيم اليازجي أخطأ في البيان (ص ٣٢٨) حيث قال: «ولا ريب ان ما جاء في هذا الكتاب هو اصحّ ما كُتب عن اولئك القوم لانهُ بجملتهِ مرويٌّ عن واحد من ابناء كهنتهم المترشحين للكهنوت بعد ما صبأ الى دين النصرانية. وغالب ما فيهِ مؤيد بالنصوص من كُتبهم نفسها منقولة بلسانهم وحرفهم ممَّا عُني المؤلف بدرسهِ لاقتباس الحقيقة من معدنها»

(قلنا) ان الشيخ ابرهيم مخدوع للاسباب التي مرَّ ذكرها. وازيدهُ افادةً انّي اجتمعتُ بهذا المندائي المتنصّر في السنة المنصرمة فعلمتُ انهُ رجل محتال. ولمَّا ذكَّرتهُ بما لقن تلميذه المرحوم نيقولا السيوفي اخذ يضحك من الخديعة التي خدعهُ بها ليمتصّ شيئًا من دَرَاهمهِ

ثم ان كل من لهُ إلمام باللغة المندائية لا بل باللغة الإرمية يرى ان ليس في كتاب حضرة نيقولا السيوفي شيء مأخوذ من نفس كُتب أصحاب هذه البدعة. لا بل نقول ان المؤلف «لم يرَ»

هتك سرّ غريب

الصابئة كاليزيديّة لا يلبسون الازرق من الثياب (راجع مقالة اليزيديّة بهذا الخصوص في المشرق ٢ : ٥٥١) وقد حاول كثيرون من كتّاب الافرنج والعرب معرفة سبب ذلك . اما العرب فانهم هم ايضاً يكرهون كل الكراهية هذا اللون لكنهم لا يعرفون سبب نفورهم منهُ مع انهُ مريح للابصار بهج للخواطر والافكار والنصوص في ذلك عديدة قال الزمخشري (١ « ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون . ولذلك قالوا في صفة العدوّ : اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين » . وقد كنوا عن النصال والاسنّة « بالزُرْق » . قال اميرُ الشعراء :

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كانياب أغوالِ

وقالوا ان سبب هذه الكناية ما في لونها من الزرقة . وقالوا : العدوُّ الازرق هو في الاصل الخالص العداوة من زُرْقة الماء وهي صفاؤُهُ وخلوصهُ . وقيل معناهُ : الشديد العداوة لان زرقة العيون غالبة في الروم والديلم وبينهم وبين العرب عداوة شديدة

هذا ملخّص ما جاء عند لُغويّي العرب من الكلام الموسوم بالزُرْقة والمؤوَّل هذه التآويل ولا بدع اذا رأيتها غير مقنعة . ثم اذا كان العرب يكرهون هذا اللون فلمَ يُعلّقون الخرز الازرق باعناق اولادهم حفظاً لهم من الاصابة بالعين بل ولمَ يُعلّقون هذا

كتاباً من كتبهم وانّما رأى كُتَيِّباً بلغتهم وهو عبارة عن مجموع صلوات وجيزة بلغتهم وحرفها يكون مع كل صابئ . ومن البيّن ان هذا المعلم لم يرد ان يتكلّف عناء فنَّح كُتَيِّبه لنسخ العبارات التي دفعها الى تلميذه وقد كتب ما كتب ممّا كان قد حفظهُ على ظهر قلبه حفظاً ضعيفاً . ويُرى ذلك ممّا كتبهُ إذ انّهُ مشوَّه اقبح التشويه وتلفيق أغلب تلك العبارات يشهد بان معلمهُ لم يكن يفهم ما يقول وهو الى اليوم لا يعرف الّا الشيء التزر . وقد كتبنا هذا كلهُ لا غضاً من حضرة المؤلف نيقولا السيوفي بل إحقاقاً للحقّ وازهاقاً للباطل ان الباطل كان زهوقاً لاننا في موقف علمٍ وتحقيق لا في موقف تدليس وتوهيم . وعليهِ فالكتاب لا حظ لهُ من العلم شيئاً بل هو عبارة عن سِفر جمع تلفيقات رجل مندائي جاهل احتال على رجلٍ عاقل بهذه الوسيلة المستهجنة . وهو فوق كل ذي علمٍ عليم

١) راجع الكشّاف (٢ : ٣٤) والنهاية لابن الاثير في المادّة

الخرز على شيء عزيز عندهم او نفيس في عينهم. قل لي بحياتك ألم ترَ انهم يُعلقون الخرز الازرق بالابنية الجديدة وانواع السُفُن والزوارق والقفف ونحو ذلك. فلا شك ان هناك سرًا غامضًا محجوبًا عن عيون العوامّ. وبالاخصّ ان العرب مولعون بلبس الثياب الزرقاء. فكيف اذن يسوغ الجمع بين الحبّ والبغضة بين الائتلاف والنفور ؟ إنّ هذا الّا من اغرب الامور

اما الافرنج فقد بثّوا آراء بهذا الخصوص كلها غرائب. وقد ذكر منها شيئًا حضرة الفاضل نيقولا السيوفي في كتابه. منها ما نقلهُ (في ص١٩٣) عن معجم ديني للابيل (١ برتران ما معرّبهُ: ويكره الصابئة الازرق كراهية غريبة لانهم يزعمون ان اليهود لمّا عرفوا من كتبهم ان عماد يوحنا يغني شريعتهم ألقوا في الاردن كمية وافرة من النيل ليفسدوا مياه ذلك النهر. وغاية هذا الفجار (٢ كانت منع يوحنا المعمدان

---

١) الأَبيل. هي اللفظة التي اخترناها لترجمة كلمة abbé. وهذا الحرف الفرنسيّ مأخوذ من اللاتينية abbas وهي مقتبسة من اللغة العبرية الارَمية أَبًا ومعناها «الأب» غير ان الافرنج قد خصّصوا لفظة «أبًا» برئيس الدير وبكل من انقطع لخدمتهِ تعالى من اي طبقة كان من طبقات خدمة الهيكل. وبهذا المعنى فنقل لفظة «أبيل» الى هذا المعنى المُحْدَث ممّا ينطبق على هذا الوضع فان معنى الأَبيل عند العرب: «رئيس النَّصارى (ولم يُعَيّنوا درجتهُ من الرئاسة فمناهُ اذًا مطلق) و. . . و. . . الخ». وقالوا انهُ مشتقّ من أَبَلَ أي نَسَكَ. قال عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ:

انني والله فاقبلْ حلفي بأَبيلٍ كلّما صلّى جأر

والكلمة وان يجوز القول بانها مشتقة من العربية الّا انها على الاصح ارَمية الاصل تعريب كلمة اصلًا والذي يدفعنا الى هذا القول تصريح البعض بذلك وكثرة اللغات فيها وهي: الأَيبُليّ بضمّ الباء والأَيْبَلي بفتحها والهَيْبَليُّ بقلب الهمزة هاء والأَبُليّ بضمّ الباء وايْبَل كهيقل وانكرهُ سيبويه وقال: ليس في الكلام فَيْعَل والايبُل كأَيْنُق والايْبِليّ بفتح الهمزة وكسر الباء وسكون الياء» اه بتصرُّف عن التاج. ومنهُ ترى انّ ما قالهُ في هذا الصدد حضرة الاب هـ. لامنس (كتاب الفروق ص ٣٩٥) فيهِ نظر

والاصل في لغات الايِبليّ «الابيل» والبقية تفرُّعات بخلاف ما يقولهُ لغويّو العرب. ومن كلامنا هذا ترى اننا جعلنا لفظة père الفرنسية مقابلًا لها في العربية لفظة «أب» ولكلمة abbé كلمة «أبيل» وهذا التدقيق في التعريب يطلبهُ اليوم علم الانتقاد دفعًا للّبس ونفيًا للشُبهات

٢) المراد بالفجار هنا ما يقابلهُ بالافرنسيّة كلمة (profanation) او (sacrilège) اي انتهاك حرمة الشيء المقدس. وقد اطلق عليها البعض لفظة «التدنيس والتلطيخ والتنجيس» كما نرى. ذلك في ترجمات الكتاب الكريم الى العربية لكن معاني هذه الالفاظ واسعة وعندنا ان الذي عرفهُ

عن تعميد يسوع المسيح لولا ان الله ارسل ملاكاً فاستقى ماء من ذلك النهر قبل ان يتدنّس . قال تيفنو(Thévenot) هذا هو راي العامة (من الصابئة) اما السبب الحقيقي لهذه الكراهية فهو انهُ يدخل في تركيب هذا اللون شيء من رجيع الكلب والكلب عندهم من الحيوانات النجسة . اه (قلتُ) وهذا كلهُ اختلاق محض

ونقل (في ص ٢٠٠) عن الفارس لِكْلاما (T. M. chevalier Lycklama) ما معناه : « والصابئات يلبسنَ لباس عربيات الاصقاع التي يَسكُنَّها لكن لا يتَّخذنَ الاسود ولا الازرق . والاسود بالخصوص (كذا . والاصح الازرق لان الصابئة من رجال ونساء قد يتخذون الاسود كما رأيتهُ بعيني) مكروهٌ في عيونهنَّ كل الكراهية . وهنَّ لا يتخذونهُ لا في الفرح ولا في الحزن » . اه

اما السبب الحقيقيّ فهو عريق في القدم وهذا الاعتقاد بالازرق لا يوجد الّا عند الامم الساميَّة الارومة . اما سائر الاجيال فلا تعتقد بشيء من ذلك . واذا وجد عند بعضهم مَّا ليسوا بساميّي السلالة فانهم اقتبسوهُ من هؤلاء لمجاورتهم اياهم . وهذا السبب هو ان الساميين يعتقدون بان اللغة الاصلية كانت سامية والصابئة يقولون الى يومنا هذا ان لغتهم كانت لغة آدم وانَّ هذه هي توقيفيَّة (اى ليست اصطلاحيــة بل من وضع الله عزَّ وجلَّ وهو « ملكا دنهورا » عندهم وانهُ علَّمها لآدم بواسطة هيقل زيوا) وان معنى الالفاظ تشير الى مفعول الشيء او مزيتهِ التي امتاز بها او وصف حالتهِ او

العرب بالمعنى المطلوب هو كلمة « الفِجار » . ومنهُ عندهم « ايأم الفِجار » قال في القاموس : « ايام الفِجار بالكسر اربعة أفْجِرَة في الاشهر الحُرُم وكانت بين قُرَيش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا : « قد فَجَرْنَا » وبالفرنسية Nous avons profané les mois sacrés او nous avons commis un sacrilège pendant ces mois saints. وزاد التاج : « فسُمّيت لذلك فِجارًا وهو مصدر فاجر مفاجرةً وفِجارًا : ارتكب الفُجور اه . قلتُ : فيكون قد جاء هذا الباب هنا لغير المُشاركة كما جاء مثل ذلك كثير في كلام العرب . كقولهم : « قاتلهم الله » اي قتلهم الله . « وعافاك الله » اي اعفاك . وقابلتُ فلانًا ودانَيتهُ وشارفتُ وباعدتُ وجاوزتُ وسافرتُ وناولتُ وضاعفتُ الخ الخ . فيكون هنا معنى « فاجر » بمعنى « فجر » الّا ان معنى الفجور انعقد بناصية المعنى المشهور ولا يجوز تحويلهُ عن مجراه المألوف . وما بقي علينا الّا ان نتخذ « الفِجار » وفعلهُ « فاجر » بمعنى دنّس الاشياء الحُرُم لانهُ معروف بهذا المعنى عند العرب

ذكر فعلهِ او تأثيرهِ الخ. واصول كلمة الازرق تعني الفناء والهلاك والتبدُّد والتشتُّت وعليهِ فمعنى « الازرق » في الاصل « المُفني » ثم نُقل الى هذا اللون لايقاع هذا الفناء وما كان من معناهُ بمَن ينظر الى هذا اللون. وعليهِ فاذا لبسوا الازرق فكأنهم يطلبون الفناء لمن ينظر اليهم كأنَّ لسان حالهم يقول: عسى هذا اللون الذي تراهُ يكون لك ازرق اي سبب فناء. ومعنى هذا الاصل موجود في اللغة الارَميَّة ايضاً فان معنى (ܐܙܩ) بدَّد وشتَّت وافنى. وكذا قُل عن اللغة العبريَّة والحبشيَّة. الَّا انَّ هذا المعنى مفقود في الاصل العربي وقد بقي محفوظاً في فُروع هذه المادَّة مما ذكرناهُ فُويق هذا من ذلك مثلًا: « العدوّ الازرق » فانَّ معناهُ عندنا العدوّ المبدّد المشتِّت المفني الذي لا يُبقي ولا يَذَر».

ومعنى ما يضع العرب والاعراب من الحرز الازرق على اولادهم وكلّ شيء عزيز لديهم انهم يتمنون الفناء والهلاك لمن يُريد ان يُوقع السوء بالموسوم بتلك الوسمة الزرقاء. اما الصابئة فانهم لا يُحبُّون الدعاء بالشرّ ولا يتمنون ضرراً لاحدٍ فهم اناس ودعاء يُحبون للسلامة والراحة وعليهِ فلا يجوز لهم اتخاذ الازرق لباساً ويُشيرون بالزرقة ايضاً الى « الروهاية » (اي رُوحاية) وهي عندهم من الروحانيات الشرّيرات الفاتكات بالناس. ولذا تراهم اذا ارادوا منع فتكها بهم وضعوا في بعض سُنن دينهم قطعة ثوب ازرق معلقاً في محلّ معيَّن من البيت حتى اذا جاءت الروهاية يكون الضرر واقعاً بها غير قادرة على إحداث شيء مكروه بساكني البيت. والَّا فان لم يكن هناك قطعة من هذا الثوب الازرق فتكها بهم عظيم هذا هو سرّ الازرق فاحفظهُ

(الخلاصة) الصابئة في الاصل عُبَّاد الكواكب ثم لمَّا اشرق نور النصرانيَّة ارادوا ان يجمعوا في ديانتهم بين الخرافات الوثنيَّة والمعتقدات النصرانيَّة فلم يُصبحوا لا نصارى ولا وثنيين بل أدرّيين وهو معنى الاسم الذي يتَّسمون بهِ اي المندائيَّة لكنهُ لا يجوز ابداً ان يُقال عنهم انهم فرقة من النصارى لانهم لا يعتقدون بشيء من دينهم وبالخصوص لا يعتقدون بالوهية المسيح. هداهم الله الى الايمان الصحيح. اللهمَّ امين

(اصلاح اغلاط طبعيَّة وقعت في مقالة الصابئة) المشرق ٣: ص ٤٨٧ س ١٩ « اذا نضب » ص « اذ نضب » = ٤٨٨: ٢٥ « ونيدغل » ص « ونيرغل » = ٤٨٩: ١ « المؤرخين » ص « المؤرخون » = ٦٨٠: ١٥ « وفي ذكرها هذا » ص « وفي ذكر هذا » = ٦٨١: ١٢،٩ « الالهة » ص « الالاهة » = ٦٨٢: ٢ « فليس » ص « ليس » = ٦٨٣: ٢٨ « نقحمهم » ص « نقحمهم » = ٧٨١: ٢٠ « الثلثمائة » ص « ثلثمائة » = ٧٨٢: ١٩ « وسمين » ص « وسبعين »

المشرق ٤: ٥٥٢: ٢٢ « وأوثي » ص « وأوثى » = ٥٥٤: ١٢ « بجلذانْ » ص « بجلذانَ » = ٦٨٥: ٢٢ « الى التصريح » ص « لا يحتاج الى التصريح » = ٦٨٧: ١٢ « ينقَلْب » ص « ينقَلِب » = ٦٨٨: ١٩ « زُبوا. . . وشُبا » ص « زِبوا. . . وشَبًا » — ٢٢ « ثلثـاثِي » ص « ثلثاثِي » = ٦٨٩: ٢ « الكُتر » ص « الكُترا » = ٧٨٠: ٢٤ « المقامـة » ص « المقاومة » = ٧٨١: ٢٦ « بالفرنسة » ص « بالفرنسيَّة » = ٧٨٣: ٤ « الي القِدَم » ص « الى المَدَم » — ١٤ و ٢٢ « في شرقهِ » ص « في شرَفهِ » — ٢٦ « واغصانهِ » ص « واعصابهِ » = ٧٨٤: ١٢ « المحتلفة » ص « المختلفة » = ٩٢٥ و ٩٢٦ كلام الكُترا في هـذه الصفحة ملخَّص ليس تامًا = ٩٢٥: ١٢ « يمدّون » ص « ويمدون » = ٩٢٦: ١٢ « يظهر الدجال في الدنيا ويقيم . . . » ص « يظهر الدجَّال ثم بعد ذلك انوش فيقيم الدعوى على المسيح ويسلمهُ » = ٩٢٨: ٢ « جارٍ ١٠ كان » ص « جهـا كان » = ١١٢١: ٥ قسم (تحذف) — « بهثة » ص « بِهثة » ١١٢٢: ٤ « النَّشَر » ص « الشَّبر » ١١٢٣: ٢٦ « شواعر » ص « شمائر » = ١١٢٤: ١٠ « الحمل » ص « الجمل »

ترجمة العالم المأسوف عليه

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس (تتمَّة)

وكانت تربط صاحب الترجمة والمرحوم بطرس بك كرم روابط الالفـة الشديدة والمحبة الاخويَّة فكانا يتراسلان عن بعد المزار بالاشعار. يبثّ كل منهما للآخر ما فيهِ من زائد الاشتياق وصافي الوداد. فمن قصيدة انفذها اليـهِ المرحوم بطرس بك الى كالياري مطلعها:

آن الرحيل وجيشُ الصبر منهزمُ ... لا دمع يجدي اخا البؤسى ولا ندَمُ

ومنها: فما اصطباري وقلبي هائم قلقٌ ... وما احتيالي ونار الحب تضطرمُ

لو لم اعلّل بلُقيا يوسفٍ املًا ... ما كنت ارجو حياة بعد بُعدكمُ

ومنها: لهُ الفصاحة دون الخلق قد خلقت ... لهُ المعاني بثغر الدرّ تبتسمُ

حوى الجمال وقد حاز الكمال فما ... وصف يُحيط بما قد نال او قلمُ

فاجابهُ بما يأتي:

أعيدوا وصالي فهو بعض عوائدي ... ولا تنكروا عهدي بتلك المعاهدِ

معاهد لم يبرح من القلب وَجدُها ... وما برحت تملو وتملو المقاصدِ
سقاها الحيا صبحاً وتُسقى ربوعُها ... ملياً وما المشّاق طيبُ الموارِدِ
نظرتُ على بعدٍ اليها فنانَني ... على القرب ظبيٌ فاتني بالمحامِدِ
وعزّ عليَّ الوصل فيمن اعزّه ... فكيف اصطباري والزمان معاندي
على ذا قضى الدهرُ الخؤون باهلهِ ... فما شرعهُ غير الجفا والتباعدِ
تسير بنا الدنيا الى حيث لا نشا ... وتصمي لياليها سهامَ المكايدِ
وليس الفتى من يلتقي الدهرَ عابساً ... فذو الحزم يَلقى دهرهُ غير حاقدِ
كتمتُ الهوى صبراً فباحت مدامعي ... بسرّي وسالت من جفونٍ سواهدِ
وان انكرت دار الاحبّة لوعتي ... فآياتُ شوقي والغرام شواهدي
أهيم اذا ناح الحمام لوجدها ... ويطربني وجدي بمصر الاماجدِ
واذكر ما هبّ النسيم صبابةً ... تملّلني بالصبرِ والصبرُ جاحدي

ومنها: وأصبر فالصبر الجميل وديعة ... لاهل الهوى والحلم خير معاضدِ
واسأل ريح الصبح تحمل صبابتي ... الى بطرس المقدام عين الفراقدِ

ومنها أيضاً:

تظلُّ مطايا الحمد قاصدة لهُ ... ويجلو بهِ للناس نظم القصائدِ
خليلي اذا ما فرّق الهجرُ بيننا ... فمن عهدنا بالحبّ لست بجائدِ
وحقك لا اسلو على البعد موعداً ... سعدتُ بهِ والحظ كان مساعدي
ولا نظرت عيني لغيرك منةً ... ولا في سوى جدواك رنّت قصائدي

ولهُ ايضاً في مديح بطرس بك المذكور قصائد عديدة نذكر هنا بعض قوافيها. فمن منظومة اخرى انفذها اليهِ ايضاً من كالياري قال في مطلعها:

ابت نفسي سُلوّاً في بعادي ... وقد قصرتْ يداها عن سدادِ
وهل يلقى الفتى بالدهر رشداً ... وقلب الدهر مجموع الفسادِ
فلا وصلٌ يدوم ولا سرورٌ ... ولا فرحٌ يمرّ بمستمادِ
لنا قد خُلقنا لافتراقٍ ... تراقبنا النوائب كالاعادي
وما عهد الفتى بالقرب عهدٌ ... وما بالوصل تجربة الودادِ
ولكنّ الفتى إمّن جرّبتهُ ... صروفُ الدهر بالمحن الشدادِ
وفخر النفس مجد واصطبار ... تدوس بهِ لظى شوك القتادِ
ببيتك يا رياحُ الصبح قصّي ... سلامي وانشدي شوق الفؤادِ

ومنها: فيا دار الاحبة كم يُداني ... خيالك مقلتي وقت الرقادِ
وكم اذرفت من وجدي دموعاً ... وسارت مهجتي مع كل حادِ
سأصبر يا فؤادُ على بعادي ... وارضى نارَ وجدك خير زادِ
واسقي من جفوني ارض شوقي ... ليروى من دموعي كل صادِ

سئمت الدهرَ والإيام حتى كرهت بقاء عيشي والتمادي
وصنتُ بقيَّةً بالروح عنوا عسى ألقى بها كرم البلادِ
عسى القي الفتى مَن ساد مجدًا وقام بهِ طريقًا عن تلادِ

ومنها: اذا ناديتُ بطرس في بعادي سمتُ الدهر جدواه ينادي
فدتك الروح من خلٍّ وفيٍّ وكم فدَّتك مثلي روحُ فادِ
اخاف عليك من حسد الاعادي لوجه منهُ ضوء الصبح بادِ
واخشى ان تخاصمني عليكم بدور الأفق او أُسد البوادي
فيا شمس الضحى لي فيكِ مثلُ لمعُ حسامهِ للعين هادِ
تسابق خيلهُ خيل المنايا اذا ما أُسرجت يوم الطرادِ
ويعلوها فتىً لمَّا تراه ترى جبلًا علا متن الجوادِ
اذا جادت يداهُ بالمطايا حسبت البحر بحرًا من جوادِ
تبارك من برا باللطف شخصًا تقاد لهُ العلى ايَّ انقيادِ

ومنها في الختام:

اناشدهُ سطورًا قد خوتها طروس القلب لا طرسُ المدادِ
يذكرني اوافيت التهاني ويوعدني صباحًا بالمعادِ
وما احظى من الدنيا بحظٍّ سوى وعد بوصل واتمادِ
وفخر النفس اقناع وصبر وما فخر يقوم بلا جهادِ

قال ايضًا رحمهُ الله وقد انفذها الى سعادة البك المشار اليهِ من تونس:

على رسم ذياك الحمى والمنازل سلام يُهادى بالضحى والاصائل
سلام ويا ليت الرياح تحمَّلت اليها فؤادي والهوى كان حاملي
وقفت بها وجدًا وقفة انازعها روحي ووجديَ قاتلي
بكيت وابكيت الرسومَ صبابةً ورقَّ لحالي خُلَّتي وعواذلي

ومنها: خليليَّ ايامُ الشباب قصيرة وما هي الَّا دولة بالتداولِ
ينغّصها الاحباب بالهجر والنوى وتقطعها الآمال قطع المراحلِ
وما وَصلنا الَّا اجتماع لفرقةٍ نودع بدرًا آفلًا إثر آفلِ

ومن ابياتها:

ابى الله ان انسى على البعد عهدهم واسلو ولو كان الوفاء مماطلي
وبالله تنساني يميني اذا سلا فؤادي ودادَ الشهم فرع الافاضلِ
أسائل عنّي ناظري وهو ساكن فؤادي ويا ليت الفؤاد مواصلي

ومنها في الختام:

فلا فتئت اوصافك الغرّ موردًا يخفُّ اليها للعلى كلُّ ناهلِ

« عودٌ على بدء » وبعد ان مرّ على تحريره للمستقل نحو السنتين غادر كالياري قاصدًا باريس مدعوًّا من قبل الحكومة الافرنسيَّة لتحرير جريدة عربيـة ايضًا تُعرف « بالبصير » فوصلها في اليوم الثالث من شهر ايار لسنة ١٨٨١

وعند وصوله الى محطة السكة الحديدية احسن استقبـاله بعض الكتبة ومحررو الجرائد الذين اظهروا مزيد الارتياح والسرور للتعرف بعـالم شرقي اشتهر امره في بلادهم « واعطي موهبة تنميق الالفاظ فسحر الالبـاب بعباراته الطنَّانة » كما ذكروا ذلك مرارًا في بعض جرائدهم

وعندما تقلّد تحرير البصير وادارته نشرت تلك الجريدة العبارات الآتية :

« لا يخفى على احد ان كل بداءة صعبة وان في العجل آفة العمل وان دون اشهار الكتب والجرائد في بلاد اجنبية عقبـات ومصاعب كثيرة. ولهذا قد ظهر العددان الاولان من جريدتنا وعبارتهما مشوّشة قاصرة عن جهدنا ومرغوبنا وفيهما اغلاط كثيرة من مرتبي الاحرف الاعجميين الذين يصورون الاحرف ولا يزكنون معناها ويظنونهـا علامات موسيقية او اشكالًا وخطوطًا عرضيـة. اما الآن فنعلن لقرائنا في المغرب والمشرق باننا لا نألو جهدًا في سبيل تحسين جريدتنا واصلاح شأنها وحالها وتوسيعها وتكبيرها لتتجمل بحلة نقيَّة تؤهلها الى الانتظام في محفل الجرائد العربية التي حازت قصبات السبق. ولنا من الهمة ما يتكفل لنا بالوصال الى متمنَّانا ويجعل الوعد كالنقد. وقد تداركنا اصلاح الشوائب التي اشرنا اليها بان استدعينا الى رئاسة تحرير جريدتنا الشاب الاديب العالم والكاتب الماهر الحازم يوسف افنـدي باخوس المقيم في ايطالية فلبى دعوتنا بالقبول والرضى وعلمنا من تلغرافاته الاخيرة انهُ يصل الى باريس غدًا ام بعد غدٍ. وقد عرف قراء جريدتنا في المغرب ما لمحرر جريدة المستقل السابق من البراعة وسهولة الانشاء والمعارف الفلسفية والمنطقيـة وسيعلمون ايضًا بان الاستقبال يحقق هذه الآمال. واننا ممَّن يقول قليلًا ويفعل كثيرًا »

ثم لم يلبث ان اصاب « البصير » من النجاح ما قد اصاب « المستقل » في ايطالية. وكنا نود ان نأتي هنا على ذكر بعض عبـارات من مقالاتٍ نفيسة نشرها في اعمدة تلك الجريدة انما يمنعنا عن ذلك ضيق المجال

وهنا نذكر بعض ابيات من منظومة رفعها لبعض اصدقائهِ من المستعربين ذوي الرفعة والمكانة يهنئهُ بعيده . قال في مطلعها :

يهنّيك عصر المجد ام يهنأ المجدُ   بنصرك مسترًا فطالعهُ السعدُ
وما شرف الايام الّا باهلها   فصورها من رسم افعالهم تبدو
مجال لاقدام الرجال وفضلهم   يصاحبهم في نيله الكدُّ والجهدُ
وقد يترقى المرء مجدًا بجدّه   ويدرك ما لا يدرك الجد والجدُّ
وليس الفتى من يلتقي الدهر عن قلى   ودون مساعي عزمهِ الحائف والصدُّ
فما طلب العلياء سهلًا وانما   حلاوتها صبر وعلقمها شهدُ
وعهدي بها لا تخلف الوعد والوفا   وليس لها من غير صاحبها عهدُ

ومنها: تجلّت بهِ فخرًا وجلّ مقامها   وطابت بهِ نفسًا فايامها رغدُ
عرفنا بهِ فضل الرجال ودأبهم   فما دأبه الّا الفضيلة والزهدُ
نعدّد ما بين الكرام صفاتهِ   وننشدها فخرًا وليس لها عدُّ

ومنها ايضاً :

بها جلّ آمالي وغاية مقصدي   فما خاب في عليا مكارمها قصدُ
اسير مدى الايام مستصحبًا بها   أراءتها رشدًا فيسعدني الرشدُ
فما عرفت الّا لها النفس منّةً   ولا ذكرت فضلًا ولا عمّها رفدُ

ومنها في الختام :

يهنّيك هذا العيد انك عيده   وافراحهُ بالحظّ والعزّ تمتدُّ
فلا برحت اوصافك الغرّ مقصدًا   تزينها العليا ويسعدها المجدُ

وقد عرفت اذ ذاك الحكومة التونسية ما كان لمقالات محرر البصير وكتاباتهِ من النفع والوقع في نفوس ابنائها وذويها وما اتاه رحمهُ الله من الجدّ والجهد في سبيل احياء روح اللغة العربية في تلك الاصقاع الغربية فمنحتهُ وسام كومندور من ط[illegible]نشان »(١ وذلك في ١٥ تموز لسنة ١٨٨١

وبقي متوليًا ادارة البصير وتحريره الى ان اصيب بمرض عضال [illegible] بالعود الى وطنه . فعاد اليهِ وقد تخوّن جسمهُ النحول والهزال حتى [illegible] ينجح بهِ دواء ولا يرجى لهُ شفاء . فاستأثر بهِ الله في شرخ الشباب ونضارة العمر غير متجاوز السابعة والثلاثين من سنّهِ . فبكى عليهِ ذوو الادب والمعارف الذين كانوا يتوسمون بهِ حسن الاستقبال ودُفن في ضريح خاصّ في غزير قد علّق عليـهِ تاريخٌ نظمهُ المرحوم الخوري

١) Commendeur de l'ordre de « Nichan »

الشاعر ارسانيوس الفاخوري الذي نُشرت ترجمة حياته في هذه المجلّة الغرّاء: (١

ابناء باخوس غدوا في لوعة اذ يوسف ذاك الفتى هجر الحمى
شهم امامٌ بل اديب فاضلٌ فبفضله شرقاً وغرباً رنّما
لبنانَ اولى عزةً وتفاخراً فلقومه منهُ ثناه كلّما
ولفقده امسى اخوه فارس بتفجعٍ واسال دمعاً عندما
كفّوا البكا ثمّ الاسى يا آله اذ روحهُ لالهه قد سلّما
فحباهُ ملكاً في السماء مؤبدًا متمتّماً فيما عليهِ انعما
سعدًا ومجدًا ارخوا حاوٍ جا بالعزّ اضحى وارثاً ملك السما (١٨٨٢)

وكان رضوان الله عليهِ شهماً ذكياً متضلعاً في العلوم الفلسفيّة والتاريخيّة وخطيباً مصقعاً وشاعراً مجيداً لهُ شعر اعذب من الماء الزلال واغرب من السحر الحلال. سريع الخاطر طلق اللسان لطيف المعاشرة يطرب الالباب ويسكر العقول(٢ بل تعشق كلامه الطباع وتلذُّ بهِ الاسماع يشهد لهُ بذلك كثير من ذوي الادب والعلم في الديار الشرقيّة والغربيّة الذين كانوا يعجبون ويطربون بكلامه الدرّي

ولهُ مع بعض محرري الجرائد في ذلك الحين ولاسيما مع محرر «الجوائب» المناقشات الحسنة والمجادلات اللطيفة التي تشف عن دهاء ودراية في الامور واتساع في العلوم. رحمهُ الله رحمةً واسعة ومتّع الوطن بامثالهِ

اقدم التصاوير

للاب لويس شيخو اليسوعي

اذا اصاخ احدٌ بسمعهِ الى اقاويل دروين واشياع التحويل ظنَّ ان الانسان كان

---

١) المشرق ٣: ٦٠٦

٢) قالت البال مال غازت في ذلك الحين: «ان سحر الالفاظ هو صناعة اتقنها ومهر فيها ابناء المشرق وقد برع فيها المسيو باخوس براعة عظيمة وهو شاب قد اشتهر امره واصبح يعدّ الان من شيوخ الكتبة المتعمّقين». هذا وانا نضرب صفحاً عن الجرائد الشهيرة التي مدحت كتاباته ومقالاتهِ بخصوص المسألة التونسية مدحاً فائقاً وعرّبت بالحرف اكثر هذه المقالات النفيسة ونشرتها في اعمدتها لاسيما الجرائد الباريسية. وقد قدرتهُ معظم الجمعيات العلمية الشرقية في اوربا حق قدرهِ وعيّنتهُ من اعضائها

في اول امرهِ في حالة من الهمجيَّة تشبه احوال العجماوات في اكثر امورها غير انَّهُ ترقَّى شيئًا فشيئًا حتى بلغ ما نعهدهُ فيهِ من الكمال

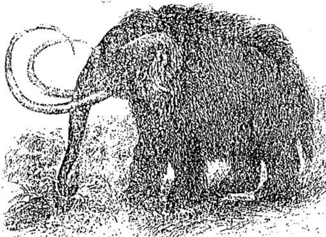
على انَّ هذه الظنّانَ اذا سُبرت بمعيار العقل وعُرضت على مقياس التاريخ لم تصدق في اشياء عديدة. وربَّما وجدنا في بعض الشعوب تقهقرًا عظيمًا بعد بلوغها اوج عزّها. وما يقال في الامم يصحُّ في الفنون والصنائع التي فُقد منها الكثير ممَّا لم يبقَ منهُ الَّا النزر القليل. وقد أُيد هذا الامر اصحاب العاديات المصريَّة والبابليَّة الذين اكتشفوا في طبقات الارض السُّفلى من الاعمال الصناعيَّة ما لم يجدوه في الطبقات الوسطى والعليا فاستدلُّوا بذلك على انَّ القوم الاوَّلين بلغوا من الترقّي والتأنُّق ما عجز عنهُ اخلافهم

ومن جملة هذه العاديَّات التي سبقت طور التاريخ تصاوير عجيبة وجدها العلماء في الكهوف والمغاور التي أوى اليها الاجداد الاوَّلون. وكان اصحاب البحث عثروا في مطاوي الجيل المنصرم على عدَّة قطع من العاج او القرن او العظم حُفرت عليها نقوش وتصاوير تمثّل في الغالب حيوانات او بعض الحليّ والادوات ولكلّها من الدقَّة في الرسم ومن الشبه بالصور الاصليَّة ما يقضي بالعجب. واكثر ما وُجد من هذه الآثار في وادي نهر ڤازار (la Vézère) في جنوبيّ غربيّ فرنسة تراها اليوم معروضةً في متاحف العاديَّات وكان وجودها في اعماق الارض وطبقاتها السافلة. والعلماء يقدّرون انَّها بالغة في القدم وان عمرها لا يقلّ عن ثمانية آلاف سنة. وهو لعمري عهد عهيد يرقي هذه الآثار الى زمن البشر الاوَّلين

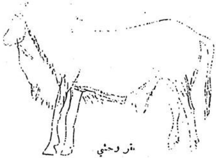
غير انَّ اكتشاف هذه المقاطيع الصُغرى الغريبة التصاوير لم يكن سوى مقدَّمة لاكتشاف آخر اعظم شأنًا وهو اكتشاف تصاوير كبرى نُقشت على جدران المغاور نقشها البشر في الاطوار الاولى السابقة لزمن التاريخ

واوَّل من وقف على شيء من هذه النقوش الاستاذ الاسباني دي سوتو (Sautuola) لقيها سنة ١٨٧٥ في مغارة مظلمة من بلدة « الطميرة » قريبًا من مدينة سنتاندر ولمَّا فحصها فحصًا مدقَّقًا وجد انَّها صور بقر وحشيّ (bison) وكانت مطليَّة بالمغرة. فما مرَّ على هذا الاكتشاف ثلاث سنوات حتى وجد المسيو شيرون (Chiron) اشكالًا مثلها في مغارة شابو (Chabot) من مقاطعة غار (Gard) من اعمال فرنسة

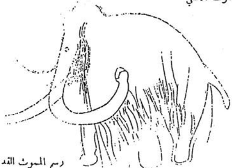
وكانت هذه التصاوير خشبيَّة فلم يعرها العلماء بالًا الى ان اكتشف صدفةً المسيو



صورة المموث الاصلي



ثور وحشي



رسم المموث القديم



فرس قديم مع لبدته

ريڤيار (E. Rivière) سنة ١٨٩٥ في وسط مغارة مستطيلة على بُعد مئة متر من مدخلها تصاوير أُخرى ظاهرة الرسم حسنة الدلالة والبعض منها محلّى بالمغرة تمثل بقرًا وحشيًا وايل الشمال (renne) واصنافًا من الخيل القديمة (équidés) والمغارة المذكورة تُدعى لاموث بقرب ضيعة اسمها داز ايزي (des Eyzies) في مقاطعة دوردوني الفرنسيَّة. وشفع هذا الاكتشاف اكتشاف آخر في مقاطعة جيروند في مغارة تدعى پار نُنپار (Pair non Pair) دخلها المسيو دالو (Daleau) فلحظ فيها ١٤ صورة محفورة حفرًا متقنًا في جدران الكهف

غير انَّ اعظم اكتشاف من هذه النقوش العاديَّة جرى في ١٠ ايلول من السنة الماضية على يد الأبيل برويل (l'abbé Breuil) والدكتور كاپيتان (Dr Capitan) فانّهما توغّلا في غار طولهُ ٢٣٥ مترًا يُدعى كُمبارل على جوار مغارة لاموث السابق ذكرها. وهذا الكهف ضيّق يختلف عرضهُ بين متر ومترين امّا علوّه فربّما كان واطئًا لا يُمكن عبوره الّا بان يزحف الداخل على بطنهِ زحفًا. فلمّا توسّطا المغارة على مسافة ١٢٥ مترًا من مدخلها وجدا على جانبيها صورًا كبرى مرسومة على طول مئة متر. والبعض منها يغطّيه طلاء من الماء المتحجر الذي يتحلّب من المغارة

وهذه التصاوير عبارة عن ١٠٩ صور منقورة في الصخر بعضها نقرًا خفيفًا وبعضها بليغًا بحيث يمكن الناظر ان يراها من بعيد. ومن هذه النقوش ما لا يمثل سوى رأس الحيوان. وهي تختلف كبرًا فمنها ما يبلغ مترًا وبضعة سنتيمترات

اما الحيوانات التي هي منقوشة في هذه المغارة فاكثرها من الحيوانات التي فُقدت منذ اعصار عديدة نخصّ منهم بالذكر المَمُّوث (Mammouth) وهو صنف من جبابرة الفيلة القديمة التي لم يُعرف منها غير بقايا من عظامها وُجدت في سيبارية في وسط الجليد او في اعماق الارض وهو حيوان يبلغ علوّه نحو ثمانية امتار. ومن صور المَمُّوث في المغارة ١٤ صورة وكلها تدلّ على انّ هذا الحيوان كان بعدُ حيًا في عهد المصوّر نقشهُ في كل اطوار حياته فترى لهُ خرطومهُ الجسيم وانيابه الضخمين وعليه شعر كثّ عند فكّيه وفوق رأسه وتحت بطنهِ ممّا يفرزهُ عن الفيل الحاليّ (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومن الحيوانات المرسومة في هذه المغارة ضروب من الخيل يبلغ عددها ٢٣ صورة تامّة ما خلا صور رأسه منفردًا. ولهذه الافراس خواصّ تختلف عن افراسنا بعض

الاختلاف فمنها ما هو ارفع قدًّا ومنها ما يُرى ذنبهُ اجرد إلَّا في طرفهِ الاسفل ومنها ما يشبه البغل وبعضها كالفرس الحاليّ إلا انَّهُ اعرض فمًا

وممَّا يدلُّ على انَّ الخيل في ذلك العهد كانت اهليَّة مسخَّرة لاشغال الانسان انَّ البعض منها يُرى في هذه الصور موسومًا باللجام وعلى ظهر بعضٍ منها غطاء من اللبد ليركب عليهِ الفارس (انظر صورتهُ ص ٥٠٤). وعلى لبان هذه الخيول او اعجازها علامات يظنُّ البعض انها حروف ويرجح غيرهم انَّها سمات تدلُّ على اصحابها

ومن الحيوانات المصوَّرة في هذه المغارة ستّ صور من البقر منها ما يشبه البقر الوحشيّ ومنها واحدٌ لا يعرف لهُ شبيه بين اجناس البقر إلا انَّهُ دقيق الصنع محكم التصوير (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومنها الايل الشماليّ والتيوس البريَّة المختلفة الشكل منها صنفٌ متوسّط بين الايل والغزال أُتقن تصويرهُ وزيد عليهِ خطوط بطلاء اسود

وكلُّ هذه الصور لها هيئات مختلفة فبعضها منتصب وبعضها رابض. ومنها ما يظهر راكضًا موجفًا في سيرهِ. الَّا انَّها لا تُرى مواجهةً بل على احد جانبيها

امَّا الادوات التي اتَّخذها المصوّرون لحفر هذه التصاوير فهي ادوات الظرّان واحجار الصوّان. والعجيب من امرها ان اصحابها بلغوا هذه الدقَّة والاحكام مع صعوبة حفرها بمثل هذه المقاريض. وتصويرها يدلُّ على براعة غريبة في اصحابها

امَّا قِدَم هذه الصور فلم يتمكَّن العلماء من بيانهِ. وقد ظنَّ مكتشفوها انَّ عهدها يترقَّى الى نحو عشرة آلاف سنة قبل المسيح. وهو حدسٌ لا سند لهُ متين. وعلى كلّ حال يسوغ القول انَّ هذه الصور عريقة في القدم لان مصوّريها لم يرسموها عن سمع بل عن عيان. وقد فُقدت هذه الحيوانات منذ أُلوف من السنين. وكذلك الامكنة التي وجدت فيها تعرِّف قدمها اذ انَّ قسمًا كبيرًا من هذه المغاور مطمورٌ بموادّ كلسيَّة وحوّاريَّة تُعرف خاصَّة بالطور المغدلاني (époque magdalénienne) سبق عهدها المسيح باكثر من ستَّة آلاف سنة

فترى من هذا الوصف ما يترتب على هذا الاكتشاف من الاهميَّة لتعريف التأريخ البشري وقدم الصناعة بين الناس وترقيهم في الحضارة واماكن سكناهم. وان قيل انَّ هذا العهد لا يوافق ما جاء في التوراة عن زمن التكوين كرَّرنا ما قلناه في هذه المجلَّة

غير مرَّة ان التوراة ليس لها تاريخ خاصّ وللعلماء في ذلك آراء متباينة لم تجزم الكنيسة بصحَّتها فمن ثم ان اقتضى القول بان هذه التصاوير نُقشت منذ اثنتي عشرة سنة فلا بأس من التسليم بهِ . ونحن نعلم حقَّ العلم ان كلام الله ثابت لا يستطيع ان ينقضهُ علم بشر

المستشفيات في المغرب

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ من الباطل ما يكتسي بثوب الصدق ويتزخرف بزيّ الحقّ فتنخدع بشبهاتهِ عقول الجمهور الذين لا يحكمون في الغالب الّا استنادًا على الظواهر . امَّا الذي كتبتهُ احدى الجرائد المحليَّة بحقّ الكنيسة الغربيَّة بخصوص المستشفيات (راجع المشرق ٥ : ٤٧٩) فانهُ خالٍ حتى من شبه الصحَّة . ولو اردنا نقض هذا القول لما احتجنا الى براهين عديدة وادلَّة غامضة وكفانا ان نشير باليد الى المآوي والمآتم والمستوصفات والمارستانات التي انشأتها الكنيسة الغربيَّة ليس في بلادها فقط بل في كل مدين من اقطارنا الشرقيَّة

على انَّ هذا الكاتب تستَّر وراء التاريخ القديم ظنًّا منهُ ان حجَّتهُ تكون اوقع في النفوس واثبت في الاوهام فكتب (ص ٣٧٦) : «ان الكنيسة الغربيَّة كانت تظهر في جميع ادوارها مقصرة بسبيل الخير حذاء اختها وذلك من كون عمَّالها كانوا يصرفون تلك القناطير المقنطرة من الدينار على البذخ وقلَّما كانوا يتحوَّلون بانظارهم نحو اخيهم البائس ولا سيَّما الابرص» . فانَّ مثل هذا القول لا يسلّم بهِ كاثوليكيّ ولو اردنا تفنيدهُ لاستدعى مقالات معدَّدة لنبيّن انَّ الكنيسة الغربيَّة لم تقصّر مطلقًا في اي سبيل كان من سُبل الخير بل تسارعت في كلّ ادوارها الى جميع المشروعات المبرورة . ولكن لمَّا حصر الناظر قولهُ في ذكر المستشفيات والبُرص حسبنا هذه المرَّة ان نخوض معهُ في هذا الميدان ونبيّن لهُ انَّ للكنيسة الغربيَّة من المآثر في ذوي البأساء ما يجللها بشمسة الفخر ويخلّد لها في تاريخ الانسانيَّة ذكرًا فريدًا لا يناصبها فيه غيرها

*

سمعت الكنيسة من فم عروسها الالهي قولهُ تعالى (متى ٢٥: ٣٤—٤٠): «رثوا الملك المعدَّ لكم... لاني كنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدتموني... فكلّما فعلتم ذلك باحد هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ» فلم تدع هذه الكلمة تذهب ادراج الرياح. وما حلَّ الروح القدس على التلاميذ حتى صرفوا همَّهم الى علاج الأبدان كفعلهم بالارواح حتى انَّ كلّاً منهم كان يستطيع ان يقول مع رسول الامم (٢ قور ١١: ٢٩): «من منكم يضعُف ولا اضعف انا»: او يكرّر قولهُ (١ قور ٩: ٢٢): «صرتُ للضعفاء ضعيفاً لاربح الضعفاء». وهذا روح الشفقة على البائسين والمرضى قد بثَّهُ الحواريون حيثما حلّوا في اربع خوافق السماء. فعمَّت اعمال الرحمة كلَّ انحاء المعمور حتى صار اسم المسيحيّ مرادفاً لصانع المبرّات وكان الوثنيّون انفسهم يشيرون الى المؤمنين بالبنان ويفرزونهم عمّن سواهم اذ يرونهم يتنافسون في تضحية ارواحهم لخير القريب نفساً وجسداً

ولكن متى يا ترى اخذ النصارى في انشاء مقامات خصوصيَّة يقومون فيها بخدمة ذوي العاهات وهل كان ظهور المستشفيات في الشرق كما زعمت تلك الجريدة او في الغرب ؟

وهنا لا بُدَّ أن ننبّه القرَّاء انَّ الفرق الذي وضعهُ هذا الكاتب بين الكنيسة الغربيَّة والكنيسة الشرقية لا طائل تحتهُ اذ انَّ هذه المقابلة تقسم كنيسة المسيح الى قسمين متباينين والمسيح كما لا يخفى على الكبير والصغير لم ينشئ الّا كنيسةً واحدة تحت رأس واحد ومن ثمَّ كلُّ ما جرى من الاعمال المبرورة في بلاد الشرق لا بُدَّ ان ينسب للكنيسة الواحدة كما تُنسب اليها الاعمال الجارية في بلاد الغرب وبلاد الجنوب وبلاد الشمال وذلك الى عهد الانفصال المشؤوم الذي حصل في القرن التاسع. فان ثبت اذن انَّ المستشفيات ظهرت اولاً في بلاد الشرق او في بلاد الغرب فالفضل في كلا الحالتين الى كنيسة المسيح الواحدة الجامعة المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة (١

١) وما نقولهُ هنا عن المستشفيات يصحُّ ايضاً قولهُ عن القديسين كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس كيرلُّس فانَّهم ليسوا قديسي الكنيسة الشرقيَّة ولا الغربيَّة وانَّما هم قدّيسو الكنيسة الواحدة التي لا خلاص خارجاً عنها

فبعد هذه المقدَّمات نقول انَّ المستشفيات كما نراها في عهدنا لم تُعرف في القرون الاولى للنصرانيَّة. على انَّ هذا لا يخلُّ بشرف الكنيسة في شي. لان المسيحيين الأوَّلين لم يجدوا حاجة الى ابتناء مقامات خصوصيَّة لتمريض الاعلاء. وانَّما بلغت محبَّتهم للقريب منزلة رفيعة حتى انَّ كلَّ بيت نصرانيٍّ كان منزلًا للغريب ومأوى للمريض. لاسيَّما انَّ الاضطهادات التي كان يثيرها عبدة الاصنام لم تسمح لهم ببناء امكنة خاصَّة للمرضى دون ان يعرّضوا هذه المقامات للاخطار المتواصلة

واذا كان هذا الامر صحيحًا عن النصارى بالاجمال فانهُ اصحُّ واوضح في الاساقفة الذين كانوا يجعلون على مقربة من دارهم الاسقفيَّة بيتًا للغرباء قيامًا بوصيَّة الرسول حيث قال (تيطس ١ : ٧—٨) «ينبغي ان يكون الاسقف... مضيفًا للغرباء». وهذا المنزل كانوا يدعونهُ باسم يليق بالغرباء والمرضى معًا (Xenodochium). وهي العادة كانت تعم رُعاة الكنيسة في الشرق والغرب على سواء كما يؤخذ من كلام القديس ابيفانيوس اسقف قبرس سنة ٣٥٥ في كتابهِ عن الارطقات (١ قال بعد ذكره المنزل (ξενοδοχεῖον) الذي اقامهُ الاسقف اوستاتيوس اسقف سبسطية (سيواس): «وقد اعتاد الاساقفة ان يشيّدوا مثل هذه المآوي ليجعلوا فيها الكسحاء والعواجز (λελωβημένους καὶ ἀδυνάτους) ويقدّموا لهم ما يحتاجون اليه». فقولهُ «اعتاد الاساقفة» يبين انَّ هذه العادة كانت تشمل اساقفة الغرب والشرق. وقولهُ «ليجعلوا فيها الكسحاء والغرباء» يدلُّ صريحًا على انَّ هذه المآوي كانت مستشفيات للمرضى اكثر منها منازل للغرباء

وممَّا يؤيد قولنا عن عموم هذه المارستانات بين نصارى الغرب والشرق معًا ما ورد في ترجمة يُليان المارق قيصر رومة انهُ كان يحرّك همم الوثنيين بذكر مستشفيات النصارى في كلّ مكان ويحملهم على المنافسة والاقتداء بهم في تمريض العَجَزى والاعلاء على اختلاف اديانهم. وهو كلام حريٌّ بالاعتبار يدلُّ منطوقهُ على كنائس النصارى دون فرقٍ بين الشرق والغرب

وان رغب احدٌ غير هذه الشواهد العموميَّة ابتناهُ بحججٍ لا تصحُّ الَّا في كنائس الغرب وخصوصًا كنيسة رومة امّ الكنائس ومعلّمتهنَّ وقدوتهنَّ في كلّ عمل صالح قال العلاَّمة الفارس غائيتان موروني صاحب معجم العلوم التاريخيَّة البيعية (ج ٤٩

١) راجع الارطقة ٧٥ مجموع الاباء اليونان لمين ج ٤٠ ص ٣٦٣

ص ٢٦٨) في مقالة له مطوّلة عن المستشفيات: «ان ثالث الاحبار الرومانيين بعد بطرس الرسول الهامة وهو كليتوس او اناكليتوس (٧٩—٨٥) لمّا فشا الطاعون في عهد طيطس الملك جعل داره الاسقفيّة بيعةً للمؤمنين وألحق بها مستشفى للمطعونين وانّ في رومة جماعة من الرهبان يُدعون حاملي الصليب (Crociferi) ينسبون انشاء فتهم اليه».وعليه فانّ كنيسة رومة تكون سبقت كل الكنائس في بناء المستشفيات. وقد وجدنا في ترجمة البابا المذكور ما يثبت قول موروني وهو من العلماء المدقّقين الذين يُعدّ كلامهم حجّةً

ومن الشهادات على اعتناء الكنيسة الرومانيّة بالمرضى والسقماء ما ورد في اعمال القديس الشهيد لورنسيوس الشماس الرومانيّ المستشهد سنة ٢٥٨.فانهُ لمّا اراد المغتصب ان يسلب من يده اموال البيعة وطلب منهُ ان يدلّهُ على كنوز الكنيسة وعدهُ لورنسيوس بذلك وفي اليوم التالي جمع الفقراء والعجزى والزمنى وجميع ذوي العاهات الذين كان يهتمّ بهم الشهيد باسم الحبر الروماني كسيستوس فاراهم المغتصب قائلًا: «دونك كنوز الكنيسة فهؤلاء هم مالها ومُلكها» فكان كلام الشهيد سببًا لأن يُحكم عليه بالموت الزؤام

ومن الشهادات المقرَّرة على قدم المستشفيات في رومة العظمى ما كتبهُ القديس هيرونيموس احد ملافنة الكنيسة اللاتينيَّة وكتبتها البرزين عن السيّدة الشريفة فابيولا الرومانيَّة انّها في سنة ٣٨٠ للميلاد اقامت على نفقتها دارًا واسعة جعلتها مخصوصةً بالمرضى ليس الَّا. فسبقت بهذا الاختصاص كلّ المؤمنين وانقطعت الى خدمة هؤلاء البائسين لم تدع شيئًا من اعمال الرحمة دون ان تباشرها حبًا بالله (١

وفي هذا القرن الرابع اشتهر ايضًا في مدينة پرتو (Porto) القديس بماخيوس وفي مدينة اوستية (Ostie) القديس غلّكان وكلاهما من شرفاء الرومان خصّصا انفسهما لتمريض المعتلّين وذوي الاسقام

وان قال قائل انّ المستشفيات ظهرت في الشرق على عهد قسطنطين الكبير فلا نماريه في ذلك وانّنا لعالمون ان قسطنطين زيّن عاصمة ملكه بالمستشفيات ولكن يجدر

---

١) وهذا قولهُ بالحرف: Prima omnium νοσοκομεῖον instituit in quo ægro-tantes colligeret de plateis et consumpta languoribus atque inediâ miserorum membra foveret.

بنا القول انَّ قسطنطين لم يكن شرقيًّا وعليهِ فانَّ الفضل للملك غربيٌّ في ابتناء المستشفيات الاولى في الشرق

وكذلك تاودوسيوس الكبير الذي كان اسبانيَّ الاصل فانَّهُ عمَّر المارستانات في القسطنطينيَّة وجهَّزها على طراز ملكي. وكانت زوجتهُ الملكة فلكيلا وهي ايضًا اسبانيَّة الاصل تعود المرضى في مقاماتهم وتخدمهم بايديها. والكنيسة اليونانيَّة تعتبرها كقديسة وتقيم لها عيدًا في كلندارها

وان سأل السائل وفي ايّ زمن كان ظهور المستشفيات في فرنسة اجبنا انَّ لدينا نصوصًا صريحة تثبت انَّ المستشفيات سبقت في غالية عهد فتوحها على يد الفرنك وقبل تنصُّر ملكهم كلوديس بنحو مئة سنة. فان التاريخ يثبت ان نصارى ريمس (Reims) كانوا اقاموا في ارباض مدينتهم مستشفى كبيرًا سنة ٣٨٠.

ولما تنصَّرت قبائل الفرنج اسرع ملوكهم الى مؤاساة المرضى وتمريضهم في مآوٍ خاصَّة شيَّدوها لهذه الغاية منهم الملك شِلْدبرت (Childebert) الذي اقام في مدينة ليون سنة ٥١٢ مستشفى دُعي « نُزل الله » (Hôtel-Dieu) وشاع هذا الاسم في غيرها من المدن حتى انَّ المارستانات عُرفت بهِ. وكانت تُدعى ايضًا بيت الله وبيت الرحمة وبيت المحبَّة الى غير ذلك من الاسماء التي بقيت حتى زماننا وهي تنطق بلسان حالها عمَّا جُبل بهِ الفرنسيُّون من الحبِّ نحو البائسين

ولا يقولنَّ المناظر انَّ هذا المقام كان مفردًا. فليسمع شهادة كاتب عاش في ذلك العصر وهو الاسقف غريغوريوس من طور (Tours) اوَّل مؤرخ الفرنج. قال: « وبقرب كل دار اسقفيَّة يقام منزل للمرضى يعتني الاساقفة بذويهِ من اصحاب العاهات ». وقد ذكر مستشفى مدينة أرل من اعمال فرنسة اقامهُ القديس قيساريوس (S[t] Césaire) سنة ٥٤٢ وجعل عليهِ قومًا من اهل البرّ كانوا يُعنون بحاجات المرضى. وممَّا سبق اليهِ هذا القديس انهُ اقام في قاعة المرضى هيكلًا تُقدَّم عليهِ الذبيحة فيحضر الاعلاَّء القداس الطاهر دون ان يقوموا من فراشهم

وفي هذا القرن السادس نفسهِ اوحى الله الى القديسة رَدْغندة ابنة ملك تورنج بان تجعل بلاطها مأوى للسقماء. فعملت وباشرت بنفسها كل اعمال الرحمة الجسديَّة فصارت آيةً لكل مواطنيها وقدوة صالحة حذا حذوها الكثيرون

وفيه ايضًا ذكر غريغوريوس من طور اقدم مستشفى يعرف في باريس رآه هذا المؤرخ سنة ٥٧٧ وهو مستشفى القديس يليان الفقير. وهو المقام الذي اهدتهُ الحكومة الفرنسوية لطائفة الروم الملكيين في عهدنا ليجعلوه مدرسةً يهذبون فيها المرشَّحين منهم للكهنوت.



صورة مستشفى الراهبات في باريس

واوَّل رهبانيَّة ظهرت في النصرانيَّة غايتها تمريض المعلولين انَّما كانت في فرنسة وهي رهبانيَّة الاغسطينيَّات الممرِّضات (Sœurs Augustines Hospitalières)

انشأها القديس لندري (St Landry) اسقف مدينة باريس في القرن السابع وقد تمّ مذ ذاك بمهنة التمريض الى زماننا دون انقطاع فيكون قد مرَّ عليهنَّ منذ نشأتهنّ ١٣٠٠ سنة . وفي الصفحة السابقة صورة قديمة تمثل تلك الرواهب في خدمتهنَّ

وما لبثت فرنسة حتى رأت بعد حين ملوكها العظام كبابين وكرلس الاكبر يبذلون الدينار عن يد سخيَّة لتشييد المآوي والمارستانات . وهنا لا حاجة الى الاسهاب لانَّ تلك الجريدة تسلّم لنا (ص ٣٧٦) بانَّ ذاك الزمان « كان زمن الاستنارة بالعلوم والمعارف » وانَّ « المسيحيين الاتقياء المهتمين بخلاص انفسهم بذلوا ما عزَّ وهان » في سبيل المشروعات الخيريَّة وخصوصاً المستشفيات . لكنَّنا تعجَّبنا من قولها « الَّا انَّ الكنيسة بوقت قريب صارت اكثر الاحيان تتقاعد عن تتميم واجباتها هذه الشريفة »

فننشدها الله اين رأت انَّ الكنيسة تقاعدت عن اتمام واجباتها بعد عصر كرلوس الاكبر . او ليس الاولى ان يقال انَّ الاعمال الخيريَّة اجمالاً والقيام بامور المرضى خصوصاً بلغ غايةً لم تبلغهُ الآمال والهمم . فانَّ مجمع « إكس لاشابال » بعد وفاة كرلوس الاكبر بسنتين امر كلَّ الكنائس بان تفرز قسماً من واردات أوقافها للمستشفيات

وفي مطاوي القرون الثلاثة التابعة لعهد كرلوس الاكبر أُنشئت تلك الرهبانيَّات العظمى التي يستحق تاريخها ان يُكتَب بحروف الذهب على صفحات قلوب كل البشر لما اتاه من الاعمال الجبَّاريَّة والمشروعات الشريفة الوفٌ مؤلفة بل مئات الوف من الرجال او بالحري من الملائكة اللابسين زيَّ الجسد ممَّن آثروا تضحية حياتهم في سبيل المقومين على اختلاف اجناسهم واديانهم . فانَّ من لهُ ادنى إلمام بالتاريخ لا يجهل انَّ نيِّفاً وعشرين جمعيَّة من الرهبان والراهبات ظهرت في تلك الاثناء اذهلت العالم بما أتتهُ من آيات المحبَّة ومعجزات الايثار في خدمة القريب . ولو اردنا ان نصف كلَّ هذه العجائب لأدّى بنا ذلك الى تسطير مجلَّدات ضخمة ومن ثمَّ يقضي علينا المقام ان نجتزئ بالبرض القليل

ولكن لا يليق بنا ان نسكت عن تلك الجمعيَّات الرهبانيَّة التي انشأها مسيحيُّو الغرب في بلادنا . فان المؤرخين كلهم لسان واحد ليثنوا على همَّة اصحابها وبطرنوا بذلهم ارواحهم في تمريض المرضى . واوَّل هذه الجمعيَّات هي رهبانية القديس يوحنَّا الاورشليمي انشأها القديس جيرَرد في القدس الشريف في اواخر القرن الحادي عشر

يعرفهم كتبة العرب باسم الاسبتلار ويكرّرون الثناء عليهم. وكان هؤلاء الرهبان يُعنون بكل المرضى من اي طائفة وملّة كانوا ويخدمونهم مجّاناً وكانوا اذا كلّموهم يسمّونهم باسم السيّد ويقدّمون لهم المآكل الطيّبة لا يذوقون منها الّا الفضلات. وكانوا يأكلون خبز الشعير ويطعمون مرضاهم البُرّ ويقدّمون لهم طعامهم في آنية من فضّة. وما مرَّ على هذه الرهبانيّة نصف قرن حتى حصلت كل من مدن سوريّة على مستشفى يديره هؤلاء الافاضل ·

وماذا نقول عن الرهبان الالمان المعروفين بالتوتونيك فانّهم نافسوا رهبان القديس يوحنّا الاورشليمي في ايواء الفقراء وتمريض الاعلاء مدّة ٣٠٠ سنة

وهنا نضبط عنان القلم عن وصف المستشفيات وذكر الرهبانيّات التي لا يضمّها احصاء ممّا ظهر في عالم الوجود من القرن الرابع عشر الى القرن التاسع عشر. فانّ الكنيسة لم تدع سقماً الّا وخصّصت به رجالاً فُنيت بكلّ المنكوبين من اطفال ولقطاء ويتامى وشيوخ وحوامل وزمنى وعبيد ومطعونين وصمّ وعميان فان مجرّد ذكر اسماء الرهبانيّات التي نشأت في الاصقاع الاوربيّة منذ ذاك العهد لا يشملها غير مصحف كبير الحجم

*

بقي علينا ان ننتقل الى ذكر البُرص فنبيّن انّ ما نُسب الى الكنيسة الغربيّة من الشدّة والجفاء نحو هؤلاء البائسين ليس بصحيح

وقبل جوابنا لا نرى بدّاً من تقديم ملاحظة وهو انّ البَرَص كان في اوربّة قليل الانتشار قبل القرن العاشر فمن ثمّ رأى ذوو الامر من اصحاب الدنيا والدين ان يتّخذوا الاحتياطات اللازمة لئلا يفشو هذا الداء ويسري بين الاصحّاء. ومن ثمّ لا حرج على دعاة الدين وعلى اولياء الامر اذا تسبّب عن ذلك بعض ضرر لهؤلاء البائسين لاسيّما بعد ما اوصى به الله موسى الكليم في حقّ البُرص وافرازهم عن الشعب

امّا الرتبة التي وصفها المناظر واراد ان يستنتج منها سوء معاملة الكنيسة للبرص فهي رتبة مقدّسة تُشبه رتباً اخرى من جنسها كرتبة الرماد ورتبة لبس الاسكيم وغير ذلك ممّا اتّخذته الكنيسة لتقدّس نفوس ابنائها بروح التوبة والانابة

ومع ذلك فهيهات ان نسلّم بان الكنيسة الغربيّة لم تُعنَ بامر المبتلين بالبرص ولنا

على ذلك ادلة صريحة . فانَّ ابا التاريخ الفرنسي غريغوريوس من طور(١ يذكر ان الاسقف اغريقولا اقام منذ اواخر القرن السادس مستشفى للبرص ædificato (leprosorum xenodochio) في مدينة كافاليون وشيَّد لهُ كنيسةً كبرى : وقد ذكر في محل آخر انَّ منازل البرص كانت تُجعل خارجاً عن المدن فدلَّ بذلك على شيوع مآوي البرص في فرنسة

وكان آباء مجمع اورليان الخامس قد استلفتوا قبل ذلك بنحو خمسين سنة انظار الاساقفة الى البُرص ليراعوا شؤونهم ويقوموا بأودهم . وكذلك مجمع ليون سنة ٥٨٣ اوصى الاساقفة ان يهتمُّوا بهؤلاء البائسين . ولعلَّ هذه الجريدة ارادت التلميح الى هذا المجمع لمَّا قالت (ص ٣٧٦) « انَّ سنة ٥٨١ القى مجمع غالية على عاهل الاساقفة ملاحظة ومساعدة البائسين والبُرص والضعفاء الذين في ابرشيَّاتهم »

غير انَّ البَرَص لم ينتشر في اوربَّة الَّا في اواخر القرن الحادي عشر . وممَّا لا يسعنا الضرب عنهُ انَّ اول رهبانيَّة منتظمة أُنشئت لعلاج البُرص أنَّما كان منشئها رجلٌ افرنسي يدعى بويان رويار (Boyant Royer) وكان انشاؤها في مدينة القدس فانهُ احتلَّ اورشليم فرأى فيها منزلًا للبُرص كان يُعنى به بعض رهبان القديس باسيليوس لكنَّ احوالهُ كانت غير راضية . فخصَّص اولًا نفسهُ لخدمة البرص ثم جمع بعض المثرين من الفرنج من ذوي التُّقى فرمَّم المنزل ووسَّعهُ وجعلهُ على اسم القديس لعازر الذي اقامهُ المسيح من القبر . وتبعهُ في عمله المبرور فرسان من الأسَر الشريفة فقرض عليهم قانون القديس اغسطينوس . وزادوا على نذورهم الرهبانيَّة نذرًا رابعًا ان ينقطعوا الى تمريض البُرص . ومن قوانين هذه الرهبانيَّة انَّهم كانوا يجعلون رئيسها الاكبر من المصابين بالبرص . وقد امتدَّت هذه الرهبانيَّة امتدادًا عجيبًا في الشرق والغرب معًا . وما انتهى القرن الثاني عشر حتى بلغ عدد منازل البرص في فرنسة وحدها ١٩٠٠ مقام . وتجاوز في سائر اوربَّة ٢٠٠٠٠ وكان ملوك فرنسة يفتحون كنوزهم بكل سخاء لهؤلاء المنكوبين نخصُّ منهم بالذكر لويس السابع ولويس التاسع المعروف بالقديس الذي كان يخدم البُرص بيديهِ ويحملهم على مناكبهِ وهكذا فعل بالمطعونين في يافا فأثَّر مثلهُ في جميع الاشراف والاعيان

١) راجع مجموع اعمال الآباء اللاتينيين ج ٧١ ص ٨٦٣

أَقنع الناظر بعد هذا؟ او يريد أن نتقصّى في البحث عن تاريخ القرون التابعة فننشر لهُ ذكر أُلوف من اولياء الله كان اعظم همّهم مساعدة الضعفاء وخدمة المرضى كاغناطيوس دي لويولا وكاميل دي لاليس ومنصور دي بول وبطرس كلافر بيد أَنّنا نضرب صفحاً عن تعداد ذلك لئلا يظهر من خلال كلامنا اننا ننسب تلك الجريدة الى جهل ما يعرفهُ صغار المكاتب. وكفانا ان نسرّح الابصار في أيامنا الى كل اقطار المعمورة وهي تشهد انّ ثمانية اعشار المستشفيات في العالم تقوم بها الكنيسة الكاثوليكيّة امّا مآوي البُرص فان القليل ممّا بقي منها في زماننا هو في ايدي المرسلين الغربيين. وجرائد العالم المتمدّن طافحة حتى يومنا هذا من الثناء العاطر على الاب داميان رسول البُرص وشهيد محبّتهِ في علاجهم في جزيرة مولوكاي وقد اقام لهُ ذوو النخوة تمثالًا في لوندن. وشيّد الانكليز على اسمهِ مارستاناً في لندرة. وكذلك قد اثنى غير مرّة كتبة البروتستان انفسهم على مستشفيات البُرص التي يديرها اليسوعيون في مدغسكار وبُمباي من اعمال الهند

هذه عجالة نكتفي بها هذه المرّة خاتمين الكلام بالدعاء الى الله ان يكافئ كل اصحاب الاعمال الخيريّة ويزيد في عددهم لمجده تعالى ولشرف الانسانيّة

فتاوي الضياء واوهامهُ اللغويّة

لحضرة الاب العالم النحويّ المتفنّن انستاس الكرملي البغدادي

من طالع الضياء ووقف على الاجوبة اللغويّة والنحويّة التي يُجيب عنها وانعم النظر في الانتقادات التي ينتقد بها نصوص ائمة اللغة المتقدمين والمتأخرين ورأى ما في كلامهِ من القوارص واللواذع يقول في نفسهِ ان هذا الشيخ هو الإمام الاوحد الذي تأتمّهُ المتقدمون عن بُعد والبحر الزاخر الذي يغترف منهُ المتأخرون. واذا زدت على ذلك كون القارئ غير مطلع على كُتُب الائمة او ليست بيده فهناك الطامّة الكبرى والرزية العظمى. واذا اضفت الى ما تقدّم سكوت خصومهِ عن المجاوبة لما يرون في كلام الشيخ من القول المستهجن فما احرى بالغرور ان يكون تامّاً في مُطالع الضياء. غير ان لكل

شيء طوراً فاذا تجاوزهُ المرء انقلب عليهِ وبالاً. فهيَّا بنا الآنَ لننظر في بعض فتاوي الضياء ولنقابلها بكلام ائمة الأعلام لنتثبَّت هل هي منطبقة على اقوالهم او مخالفة لها. هذا وبيدي آخر عدد وصل اليَّ من الضياء، وهو العدد ١٢

قال في جوابهِ الاول ص ٣٧٤: «وهذا البناء (بناء حَبُبَ) شاذٌّ في المضاعف لم يُسمع فيما ذكروا الَّا في هذه الافعال الثلاثة» اي (لَبُبَ وحَبُبَ وشَرُرَ). قلتُ: وهذا اول وهم من اوهامهِ فقد جاء غير هذه الثلاثة قال في التاج في مادة «د م م» ما نصهُ: ودممتُ كشمِمْتُ وكرُمتُ. الاخيرة نقلها ابن القطَّاع عن الخليل. قال شيخنا فيهِ ان يونس قال: «لَبُبَ» بالضم لا نظير لهُ كما مرَّ غير مرَّة انتهى. اي مع ضم العين في المضارع فانهُ هو الذي حكاه يونس. وفي المصباح انهُ شاذٌّ ضعيف. قال ومثلهُ شَرُرْتَ تَشُرُّ فهي ثلاثة لا رابع لهـا. وزاد ابن خالويهِ عَزُزَتِ الشاةُ تَعُزُّ. ومرَّ للمصنف في ف ك ك وقد فككتُ كَمِلتُ وكرُمتُ فتكون خمسة. فتأمل ذلك.» انتهى بحروفهِ عن التاج. فمن هُنا ترى ان الشيخ قد وهم في قولهِ: «لم يُسمع... إلا في هذه الافعال الثلاثة». نعم ان بعض الائمة قد وهموا ايضاً هذا الوهم لكن لم يكن يومئذٍ لاولئك العلماء دراوين كما في ايدي الشيخ ولذا فان عذرهم مقبول بخلاف ما يمكن ان ينتحلهُ الشيخ من الأعذار

وقال: «وامَّا الزامها فكَّ الادغام... فهو غلط» قلتُ: ان صاحب اقرب الموارد لم يصرح بفك الادغام بل قال: «حَبُبَ اليهِ صار حبيباً لهُ. ولا نظير لهُ إلا لَبُبَ وشَرُرَ» فاراد بمثل هذا القول مُظهراً الفكَّ ليقف الباحث على صيغة الباب وقد سبقهُ الى مثل هذا التعبير التـاج في مادة «ل ب ب» ويونس النحوي كما رأيتَ فُويق هذا اذ قال: «لَبُبَ بالضم لا نظير لهُ»

وقال سائل الشيخ: «اني لم اجدهُ (اي سَرُرَ) في موضعهِ من الكتاب (اي اقرب الموارد) قلتُ: افليس هذا برهاناً قاطعاً في حدّ ذاته ليبيّن للسائل ان قد وقع في هذه الكلمة خطأ طبع. فلو لم يكن كذلك اما كان ذكر المؤلف تلك اللفظة في مظنَّتها. وهل من شيء اسهل على الصفَّاف من الوهم بين السين والشين او من نسيان وضع النُقط الثلاث على الشين لكن «في رأس الشيخ خُطَّة» تقف دونها كل حجّة

وقال: « واما قولهُ الشي. الذ فصوابهُ اللاذ وانما الذ من ألفاظ العامّة كما يقولون هذا امر مُسر » اه. قلتُ: جاء في كتاب غريب الحديث: « ألَذَّهُ تسبّب للذّته نادر ».
وعليه فالذ من النوادر وليس استعمال النوادر من الخطأ بشيء. فان جماعة من ائمة الأدباء قد ألفوا كتباً وسموها بالنوادر واستعمالها غير محظور على احد. ثم ان النادر هو على ما نصّ عليه الصبّان (٤ : ٩٧) « ما خالف القياس وكثر استعمالهُ » اه بحرفهِ. وعليه فيكون استعمال الذّ اكثر من استعمال لذّ. فانظر الى علم هذا الرجل وكيف فشّ وطب ضغنانهِ.
واما « مُسر » . فيجوز استعمالهُ رباعياً ايضاً لان اغلب الافعال الواردة على وزن أفعل بمعنى فعل الثلاثي لم يذكرها اللغويون استناداً لما نُقل عنهم في المزهر قال (٢ : ٢٠٦) : وكان الكسائي يقول: قلماً سمعتُ في شيء فعلتُ الّا وقد سمعتُ فيه افعلتُ » اه.
وبالخصوص اذا كان لهُ مرادف لعنساهُ على هذا الوزن كما هو الامر في « اسَرَّ » فانهُ يُنظَّر بأفرح فاستعمالهُ جائز كلَّ الجواز. راجع الكشاف للزمخشري (١ : ٤٧٤)

واما انتقادهُ على « خير الشاء وشرّتهم » فالصحيح في هذه العبارة انَّ الهاء وقعت من « خير » . وسياق المادة يظهرها اجلى ظهور الّا انَّها خفيت على ضعف بصر الشيخ. اذ يقول المؤلف حفظهُ الله: « الخيرة الكثيرة الخير الفاضلة من كلّ شيء. يقال خير الشاء وشرّتهم » . أوَ ليس التمثيل يكون على اللفظة التي تقدَّم ذكرها. فاذا وقع بعض خطأ في الكتابة فلا يكون من المؤلف بل من الصفّاف. واماَّ وضع ضمير العاقل لغير العاقل فهو من خصائص لغة العرب قال في المزهر (١ : ١٦٠) « ومن سُنن العرب ان تجري الموات. وما لا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم كقوله في جمع ارض: ارضون. وقال تعالى: كل في فلك يسبحون » اه بحرفهِ. ومنهُ ايضاً لغة اكلوني البراغيث. فتأمل

واما ما جاء في مادّة ق ر د ح : « قردح الرجل: اقرَّ بما يُطلب اليه او منهُ وتذلّل « وتصاغر كي لا تحترق » (اللسان) » فلو نظر الشيخ الى الذيل الذي ذيّل به المؤلف كتابهُ (ص ٥٠٦) لرأى تصحيح العبارة بحذف « وتصاغر كي لا تحترق « اللسان) »

وممّا تقدَّم تتحقق امراً لا يشوبهُ ريب وهو ان في صدر هذا الشيخ مراجل ينز فيها الحقد وكلّما ازّت فيهِ اندفع الى التخطئة على غير هُدًى فتنقلب تلك التخطئة وبالًا عليه

هذا وقد رأيت مبلغ تحذلق صاحب الضياء عند تعرّضهِ لمن هو اعلى منهُ علماً في

جمع شتات اللغة وتأليفها لكن يا تُرى هل هذا الرجل معصوم من الخطأ في ما يكتب لكي يتعرّض لما يُحرّرهُ اكابر العلماء والكتبة. كلّا وايم الحقّ فانهُ لا يصدر عددٌ من اعداد مجلّتهِ إلا وفيهِ اغلاط نحويّة او لغويّة او بيانيّة او علميّة. فمن هذه الاغلاط كلمة «البَخت» فلا يكاد يصدر عددٌ من مجلتهِ إلا وفيهِ هذه اللفظة المستهجنة وربّما جاءت غير مرّة في العدد الواحد. ففي العدد الاخير وردت مرّة في (ص ٣٧٨) اذ قال: «سيئة البخت». قال الموفّق البغدادي في ذيل الفصيح بخصوص هذه الكلمة: «قول العامة «هَمْ فَعَلْتُ» مكان «ايضاً» و«بَسْ» مكان «حسب» وكذا «بخت» مكان «حظّ» كلهُ مولّد ليس من كلام العرب (عن المزهر بحرفهِ ١: ١٤٨). وقال في شرح الدُرّة: «عن الاخفش انهُ قال لتلامذتهِ: جنّبوني ان تقولوا... ليس لفلان بخت». فاحفظهُ.

وكثيرًا ما يستعمل الضياء كلمة «عَرَبة» بمعنى مَركَبة او عجّلة وهي تركيّة الاصل ودون هاتين اللفظتين فصاحةً. قال ابن بطوطة في رحلتهِ في كلامهِ على بلاد التُرك ما نصّهُ: «وهم يسمون العَجَلة: عَرَبة بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات». قلتُ وقد ذكر ذلك لا لاستحسان اللفظة بل لتسمية الشيء بما يُسمّيهِ اهل تلك البلدان. كما ان من يسافر في بلاد الافرنج يقول: «وهم يسمون العَجَلة فواتور مثلًا.» وليس معنى ذلك استحسان اللفظة والدليل على ذلك ان الفُصحاء من الكتبة لم يستعملوها البتة

وكثيرًا ما يستعمل الضياء لفظة «زوجة» فقد وردت مرّتين في (ص ٣٧٨) ومرّة في (ص ٣٧٩ الخ) فاسمع الان ما قال عنها ابن قتيبة في ادب الكاتب: «زوجة الرجل. والاجود: زوج... وزوجة قليلة اه (ص ٢٢٨)

وقال في (ص ٣٨١) «كانت اودعت فيها حليها». والافصح «كانت اودعتها حليها.»

وقال في (ص ٣٦٦) «وتُمسح الكتب التي انتابتها الهوام ويُكرّر ذلك على مرّتين». فقولهُ «على مرّتين» من التعبير السوري العاميّ المستهجن ممّا لم ينطق بهِ احدٌ من الفصحاء ولا يُخرّج تخريجًا لغويًا ولا معنى للاداة «على» في هذا التعبير. والاصح «ويكرّر ذلك مرّتين» ومثل هذا التعبير ورد في (ص ٣٢٩) اذ قال: «ويكرّرهُ على دفعتين». والاصح: «يكرّرهُ دفعتين»

وقال في (ص ٣٧٦) «ولا بأس هنا من التنبيه الى انَّ بعض كتبتنا يضيف في مثل هذه الصورة الاخيرة كقولهم : ظلّ ظليل حضرة الامير فيضيفون الظلّ الى الحضرة مع اعتراض الوصف بينهما . ولم يكد يُسمع مثل ذلك قبل هذه الأيام الّا نادراً كقول ابن النحاس :

الجود بحر وهو در يتيمهِ والمجدُ بيت وهو فيهِ قوامُ

اي وهو درُّه اليتيم . . . » اه . فانظر حرسك الله هل رأيت مثل هذا التنظير او الشاهد . فانهُ اراد شاهداً على اعتراض الوصف بين المضاف والمضاف اليهِ فاورد شاهداً لا يؤيد مدَّعاه . ثم ان اعتراض الوصف بين المضاف والمضاف اليهِ ممَّا قد منعتهُ العرب . واماً تأخير ضمير المضاف الى النعت وجعل هذا بمنزلة المضاف اليهِ ثم ضمّ الضمير اليهِ ممَّا قد اجازتهُ العرب وعلى ذلك شواهد كثيرة . فهل لمثل هذا الرجل بعد ذلك يحقّ التبجح والتطاول بعد ان رأيناه قد ارتكب عدّة اغلاط في كريرسة تكاد لا تكون شيئاً بجانب اقرب الموارد . فما قول المنصفين . وهل يحق لهذا الرجل بعد ذلك ايضاً ان يتصدَّر في مجلس اهل اللغة المبرزين . هذا امرٌ يحكم بهِ كل من كان خالي الغرض بين الناطقين بالصدق المبين . والله لا يضيع أجر المحقّين

كُتبي المخطوطة

بقلم جناب القانوني الفاضل جرجس افندي صفا

كُتبي الفقهيَّة (تتمَّة لما سبق ص ١٦٠)

٧ ومن الكتب المخطوطة التي حصلتُ عليها شرح الفصول في الفرائض للشيخ سبط الماردينيّ المتوفَّى في راس القرن العاشر للهجرة . وهو مشهور لهُ التآليف المعتبرة في اكثر العلوم لاسيَّما الحساب والجبر والهيئة والفرائض . وكان شافعي المذهب

٨ نظم الجامع الصغير في الفقه وهو كتاب مخطوط قديماً مضبوط النقل سهل العبارة ولم يُذكر فيهِ اسم المؤلف واضحاً ولكن يظهر انهُ الامام نجم الدين النسفي وقد جاء في كشف الظنون (٢ : ٥٥٨) انهُ نظم الجامع الصغير تأليف الامام محمّد بن الحسن الشيبانيّ الحنفيّ المتوفَّى سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) . وكانت وفاة النسفيّ سنة ٥٣٧ هـ

(١١٤٢ م) واسمهُ نجم الدين ابو حفص عمر بن محمّد ولد في نسف سنة ٤٦١ (١٠٦٩ م) كان اماماً فاضلاً اصوليّاً صنّف قريباً من مئة مصنّف في الفقه والحديث والأدب والتاريخ. وكانت وفاتهُ في سمرقند . قيل انّهُ اراد ان يزور الزمخشري في مكّة فلما قدمها وصل الى داره ودقّ الباب. فقال الزمخشري: من هذا. فقال النسفيّ: عُمَر. فقال الزمخشري: انصرفْ. فقال نجم الدين: عُمَر لا ينصرف. فقال الزمخشري: اذا نُكّر صُرف. وابيات هذا الكتاب نحو ١٢٠٠ فمن نظمهِ من باب البيوع:

فديتُك فاسدٌ بيعُ المراعي ... كذا استئجارها من كل راعي
كحوتٍ حظيرةٍ القيتَ فيها ... وقدرتَها تدوم على امتناعِ
وجازَ اذا يُنال بغير صيدٍ ... وشُيّر فيهِ عند الاطّلاعِ
اذا وهب الطريق وباع يجزي ... وذانِك في المسيل على الضياعِ
وقد حُبس المبيع على فسادٍ ... لدى المبتاع حتى الارتجاعِ

وقال ايضاً :

من ابتاع ما لم يلقَهُ في زمانهِ ... لهُ الفسخ لا التنفيذ قبل عيانهِ
ولو قبضَ العينَ الرسولُ معاينًا ... فليس كرأي العين من قهرمانهِ
ويثبت للاعمى خيارٌ اذ اشترى ... ورؤيتهُ في جسّهِ بنانهِ
او الشمّ او ذوق ويمقوب قال ذا ... يضاهي بصيرًا ان يقف بمكانهِ
واخراجهُ عن ملكهِ البعضَ ملزِمٌ ... كذاك خيار الشرط عند وزانهِ
وفيهِ اذا امسى تقرّر بيعهُ ... كذلك يمضيه انقضاء زمانهِ

٩ شرح الكنز للشيخ شمس الدين القادري الحنفيّ ابن سليمان ابن محمّد الاريحاوي المشهور في الديار المصريّة بالحلبيّ يقول في آخرهِ انهُ «فرغ من تأليفهِ في اوّل ربيع الاوّل سنة ١١٣٤هـ (١٧٢٢م) في الجامع الازهر» وهو شرح جليل بقدر حجم شرح الملتقى للداماد

١٠ العناية في شرح الهداية. الهداية كتاب جليل في فروع الفقه الحنفيّ لشيخ الاسلام برهان الدين علي المرغينانيّ المتوفّى سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧ م) والعناية شرح حسن على الهداية لاكمل الدين محمّد بن محمود البابرتي الحنفيّ المتوفّى سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤م)

١١ غاية البيان. وهو شرح آخر للهداية لقوام الدين امير كاتب ابن امير عمر الاتقاني الحنفيّ المتوفّى سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م)

١٢ خلاصة مجمع الفتاوى . وهي نسخة قديمة مضبوطة عليها هوامش بخط عاصم افندي المشهور مترجم قاموس الفيروزابادي وشرحه الى التركية

١٣ كتاب كشف المروط عن محاسن الشروط للامام ابي محمد الحسن ابن الشيخ عمر بن حبيب . وهي نسخة قديمة كُتبت سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٧م) تحتوي على كيفيَّة كتابة الصكوك والمحاضر والسجلات والالقاب وغير ذلك

١٤ كتاب حيل الخصَّاف . وهي نسخة يغلب عليها الضبط . وقد وجدتُ هذا الكتاب مطبوعاً حديثاً في بعض مطابع مصر ولكنَّهُ مشحون بالغلط بحيث لا يكاد يُستخلص منهُ مسئلة . اما الخصَّاف فانَّ اسمهُ احمد بن عمر بن مهير كان عارفاً بمذهب ابي حنيفة وصنَّف للمهتدي بالله كتاب الخراج . فلمَّا قُتل المهتدي نُهب الخصَّاف وذهبت بعض كتبهِ . من ذلك كتابٌ عملهُ في مناسك الحجّ ولهُ كتاب الحيل وكتاب الوصايا وكتاب الشروط الكبير والصغير وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب ادب القاضي وغير ذلك . وكان يخصف النعال فيأ كل من صنعتهِ فاشتهر بالخصَّاف كما ذكرهُ الذهبيّ في اعلام النبلاء . كانت وفاتهُ سنة ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) وقد قارب الثمانين

١٥ شرح منظومة ابن وهبان لابن الشحنة . ومتن هذه المنظومة هو في فروع الحنفيَّة . وهي قصيدة رائيَّة تبع فيها صاحبها ترتيب الهداية اوَّلها :

بداءتُنا لله بالحمد أَجدَرُ وما ليس مبدوًّا بهِ فهو ابترُ

الى ان يقول في المقدمة :

وبعدُ ففي علم الفروع مسائلٌ غرائب في الكتب الضخامة تُسفِرُ
على مذهب النعمان ذي العلم والحجى الا امام العظيم الشان في ما يقرّرُ
فافردت منها ما تيسَّر نظمهُ لعلّيَ في نيل العلى ـ اتبحّرُ
ولم اذكر المذكور في كل كتبنا وما كان من قيد مفيد سأذكرُ
وربَّ مكان زيد فيهِ رواية فاوضحتُ أولاها وما هو اشهرُ
وها انا في المقصود اسعى بعونهِ وقدرتهِ فهو المعين المقدِّرُ

ويقول في آخرها :

تجلَّت فجلَّت كل ريبٍ وريبةٍ وحلَّت فحلَّت كلَّ ما يتعسَّرُ
كساها المعاني حُلَّة الحسن مذ غدت عن الحشو الفّا بالحياء تُستَّرُ
فان ترَ تقصيرًا فبالفضل مُدَّهُ فاني قصير الباع والعمر اقصرُ

قال الشارح : وكأنّ الناظم استشعر قصر مدته فكان كذلك فانهُ مات من ابناء الاربعين. واسم ناظمها ابو محمّد عبد الوهّاب بن احمد بن وهبان الدمشقيّ كان ضليعاً في علم الفقه اخذه عن الائمة واخذهُ عنهُ علماء الشام فبلغ فيهِ رتبة الكمال . وولي قضاء حماة وكان مشكور السيرة إماماً في العربيّة . وشرح درر البحار في المذهب الحنفيّ للامام محمّد بن يوسف القونوي ومات ابن وهبان قبل القونوي باشهر وذلك سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦) . اما شارح منظومة ابن وهبان فهو قاضي القضاة عبد البرّ بن محمّد الحلبي ثم القاهريّ الشهير بابن الشحنة وهو حفيدٌ لمحبّ الدين محمّد بن الشحنة صاحب تاريخ روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر . ومن تصانيفهِ الرسائل الاشرفيّة في الالغاز الحنفيّة كانت وفاتهُ سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥م) . امّا نسخة شرحهِ على منظومة ابن وهبان فانها خُطّت سنة ٩٧٢ هـ (١٥٦٥ م)

١٦ ادب القضاء للقاضي محيي الدين ابي عبّاس احمد ابن قاضي القضاة وصدر الدين ابي اسحاق ابراهيم الحنفي يحتوي على مسائل مهمّة متفرّقة كُتب سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م)

١٧ النُتف الحسان لابي بكر محمّد بن موسى الواسطي اصلهُ من فرغانة وكان من قدماء اصحاب الجنيد والثوري واحد علماء مشائخ القوم لم يتكلّم احد في اصول التصوُّف مثلهُ واستوطن مدينة مرو وكلامهُ عندهم ليس بالعراق منهُ شيء لانهُ خرج منها وهو شابٌ ومشائخهُ احياء . ووفاتهُ كانت في مرو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)

١٨ كتاب مجامع الحقائق وجوامع الروائق في اصول الفقه . ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون ولم يذكر صاحبهُ . وهو كتاب يشتمل على غرر مسائل الاصول

١٩ الدرر والغرر وهي نسخة قديمة غاية في الضبط — ٢٠ شرح المختار للفتوي — ٢١ متن التنوير — ٢٢ شرح الوقاية لابن ملك ناقص المقدّمة — ٢٣ شرح الوقاية لصدر الشريعة — ٢٤ ترجيح البينات للغانم — ٢٥ رسالة للشرنبلاني في الابراء — ٢٦ حاشية الفصولين . لم يذكر اسم مؤلفها — ٢٧ شرح فرائض الملتقى للطرابلسيّ وهو شرح نفيس مطوّل — ٢٨ اصطلاحات الفقهاء . مجهول المؤلف — ٢٩ الاشباه والنظائر — ٣٠ ثلاثة كتب في اصول الفقه — ٣١ الفتاوى الخيريّة

وجميع هذه الكتب مخطوطة (١ وكلّها في فقه المذهب الحنفي. وسنأتي على بيان سائر الكتب غير الفقهيّة في قطعة غير هذه ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

1 Ocerk Morfologii ebreisko-tataskago narecia,
Vsev. Miller, *Moskba*, pp. 56, 1901

اصول اللغة العبريّة التاتكلجيّة

2 OCERK LITERATYRNOI DEATELINOSTI KAZANSKIKH
Tatar-Mokhammedan za 1880-1895,
Socinenie Nikola Achmarin, *Moskba* pp. 58, 1901

نبذة في آداب التتار المسلمين في قازان وتآليفهم منذ سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٥

3 Balhvar i Iodasaf, gryziniskii tekst, izdal A. Khakhanof,
Moskba, pp. 32 1902

بلهوار ويوداساف باللغة الكرجيّة

هذه كتب ثلاثة باللغة الروسيّة أُرسلت الى ادارة المشرق يتضمّن (الاوّل) منها قواعد لغة شائعة بين احدى القبائل الخاضعة لحكم الدولة الروسيّة. وهي لغة متركبة من لغتين ساميّة فعجميّة. وكان الاستاذ ميلّر سبق فعرّف خواصّها (راجع المشرق ٤ : ٥٤١) وهو اليوم قد ألّف لها كتابًا لضبط قوانينها من صرف اسمائها وافعالها وتركيب جملها. والكتاب (الثاني) غايتهُ تعريف اللغة التاتريّة التي يتكلّم بها المسلمون في قازان. ولهم فيها تآليف مختلفة منها شعريّة ومنها نثريّة في مواضيع شتّى فبحث عنها الاديب نيقولا احمارين ووصف خصوصًا الكتب التي نُشرت في هذه اللغة من السنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٥. فجاء وصفًا مفيدًا لم يَفُتهُ شيء من احوال هذه اللغة التاتريّة. وامّا الكتاب (الثالث) فهو بحث جديد عن رواية كثر فيها القيل والقال منذ

١) وعندي من الكتب المطبوعة في هذا العلم ما هو غنيّ عن الذكر كالفتاوى الهنديّة طبعة بولاق بعضها مصحّح بنظارة الشيخ محمّد قطّة وبعضها بنظارة الشيخ نصر الهوريني وكحاشية ابن عابدين طبعة بولاق. وكجامع الفصولين. والبحر الرائق وشرح الداماد على الملتقى مع شرحه للعلائي شارح التنوير. وكالمنظومة الحبيّة وفتاوي علي افندي وتنقيح الحامديّة الخ

خمسين سنة وهي «رواية برلعام ويواصاف» المنسوبة للقديس يوحنا الدمشقي. فانّ الاستاذ خاخانوف قد اكتشف على نسخ جديدة منها في لغة سلاڤية تدعى غريز نسكيّة وهذه النسخ مخطوطة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر واسم الرواية هناك «بلهوار ويوداساف» فنشرها الاستاذ المذكور في اصلها وترجمها الى الروسيّة واضاف اليها عدّة حواشٍ زيادةً للفائدة. ولا نشك في انّ العلماء يتلقّون هذا الكتاب بمزيد الرغبة ليستعينوا به على تعريف اصل هذه الرواية وبيان خواصها

حيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

عرّبها المعلّم البارع رشيد افندي الشرتوني محرّر جريدة البشير

هي الرواية التي فكّهنا بها ألباب قرّاء المشرق بسرد اخبارها السارّة. ولمّا كان العدد الغفير منهم سألوا نشرها على حدة لم ترَ مطبعتنا الكاثوليكيّة بدًّا من اجابة الطلب فطبعت الرواية المذكورة في كتاب مستقلّ يشتمل على ٢٥٠ صفحة ظهر في الاسبوع الماضي. وقد جعل المؤلف الرواية المذكورة بمنزلة درس لتاريخ سوريّة في القرن الخامس عشر وعلى الخصوص تاريخ لبنان. اما الاشخاص المهمون الذين يدور عليهم محور الكلام فكلهم من الذين جاء ذكرهم في التاريخ وجميع ما هو مبسوط من تفاصيل احوالهم مأخوذة عن اصدق المصادر المتعلقة بالعصر المحكي عنه كما ترشد الى ذلك الاسانيد والشهادات التي عُلّقت على اسفل الصفحات. وعلى ذلك يرى كل احد ان الكتاب جامع بين فائدة التاريخ ولذة الرواية ممّا يحملنا لتحريض القرّاء على اقتنائه ولاسيما الذين يهتمون بتهذيب الاحداث لان الطلبة الموكلين اليهم يجدون في مطالعته لذّةً وفائدةً معًا كما سبق القول. وفي الختام نتمنى من الكتبة ان ينهجوا هذه الطريقة ويختاروا من تاريخ الاوطان مواضيع لما يريدون انشاءهُ من الروايات لان ذلك اجمل واغزر عائدة

كُتب أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

1 Dr G. Gabrieli: *Gesu Cristo nel Corano*, Roma, 1901
2 » » *Alcuni Confratelli Arabi del Consalvo Leopardino*, Napoli 1901
3 M. P. Guigues: *Pilules mercurielles bédouines.*

شذرات

قصر بلشصَّر — هو القصر الذي ابتناه نابو بولاسار ابو نبو كدنصَّر ملك بابل في اواسط القرن السابع قبل المسيح · وفيهِ جرت تلك الحادثة الفاجعة التي ورد ذكرها في الفصل الخامس من سفر دانيال النبيّ لمَّا انتهك الملك بلشصَّر حرمة القدسيَّات فظهرت يدٌ خفيَّة كتبت على الجدران ما يتهدَّدهُ من النكبات · وهذا القصر كان استولى عليهِ الدمار منذ قرون عديدة فلم يبقَ لهُ اثر معلوم · وقد اسعد الحظ البعثة الالمانيَّة التي باشرت منذ بضع سنوات الحفر في اخربة بابل على اكتشاف هذا القصر العجيب تحت الاطلال المتراكمة فوقهُ · فكان لهذا الخبر وقع حسن في الدوائر الاوربيَّة امَّا دارسو الاسفار المقدَّسة فقد تلقَّوا هذا النبأ بمزيد الفرح لانَّ في اكتشاف هذا القصر برهانًا جديدًا على صحَّة سفر دانيال النبيّ الذي حاول بعض الملحدين انكارهُ في عهدنا

روايات الضياء — كان الضياء حتى الآن يدوّن في آخر كل اعدادهِ فكاهات او روايات لا يتجاوز اكثرها عالم الاوهام · وكثيرًا ما أُودعت هذه التخيُّلات من الاوصاف العشقيَّة والتغزُّلات الخلاعيَّة ما يندى لهُ جبين الادباء خجلًا · على أنَّنا ضربنا الصفح عن تقريع صاحب المجلَّة في هذا الشأن لعلمنا أن لا سماع لمن تنادي · ولكن لا يسعنا السكوت عن الرواية المثبتة في العدد الاخير (١٥ آيار ص ٥٣٥ — ٥٤٤) فانَّها محلاَّة بمظاهر التاريخ وليس فيها من التاريخ ذرَّة · فان كلَّ ما سُطر هناك عن شرلمان وبيبين والحبرين الاعظمين زكريَّا الاوَّل ولاون الثالث كذب لا نصيب لهُ من الصحَّة · ولو عددنا ما في هذه الرواية من الاغلاط التاريخيَّة لتجاوزت عشرين غلطة فظيعة : ١° ليس الملك بيبين ملكًا دخيلًا بل هو ملك شرعيّ اختارهُ اعيان فرنسة وشعبها ٢° لم يعمل البابا زكريَّا شيئًا لتمليكهِ وانَّما افتى فقط بشرعيَّة ملكهِ ٣° الملك الذي اقيم بيبين بدلًا منهُ لا يدعى كلوتير بل شلدريك الثالث ٤° لا اثر للحرب التي وصفها الضياء لمحاربة كلوتير ٥° ليس لبيبين اخ يدعى كرلوس ٦° لا اثر في التاريخ لهذه الفظائع التي نسبها الضياء لبيبين وجنودهِ ٧° لا صحَّة لملك كرلومان على فرنسة وانَّما ملك على بلاد اوسترازيَّة من سنة ٧٤٣ الى ٧٤٧ ٨° كان

بيبين ملكًا على بلاد نسترية ثمّ ملك بعد ان تخلّى اخوهُ كرلومان عن الملك على فرنسة والمانية ٩ً لم يكن مقام بيبين في باثارية ١٠ً لا اثر للدير الذي زعم الضياء انّ بيبين بناه في قمّة جبل راتسبون ١١ً لا يوجد بين ملوك بريطانيا ملك باسم كرنيول ١٢ً امرأة بيبين برتا ليست ابنة كرنيول بل ابنة شاريبرت دوق لان ١٣ً لا نعرف للملك بيبين وزيرًا اسمهُ كارين وعليه فتكون كل القصّة كاذبة من عين اصلها ١٤ً لم يتزوج بيبين بامرأة غير برتا ١٥ً البابا لاون الثالث الذي زعم الضياء انهُ ابن بيبين من برتا ابنة كارين هو رومانيّ الاصل والوالدين ١٦ً لا يُعرف لبيبين الّا ولدان كرلوس الاكبر (شرلمان) وكرلومان ١٧ً لا اثر لقصّة اللجام المسروق ولحكم شرل على السارق. الخ الخ. فالعار كل العار على رجل يختار مثل هذه الروايات ليفكّه بها قرّاءهُ ويبذر في عقولهم بذر الكذب والتشنيع على الدين

مطبعة دير الشوير قرأنا في المنار الاخير (ص ٤١٠) ردًّا لاحد ابناء الرهبنة الباسيليّة البلديّة الشويريّة على جناب عيسى افندي زريق يبطل فيها قولهُ عن اختلاس مطبعة دير الشوير من دير البلمند. وفي هذا الردّ ما يُشعر بان الآباء اليسوعيين لم يساعدوا عبد الله زاخر بانشاء المطبعة. وقد بيّنا خلاف ذلك في المشرق (٣: ٣٦٠ و ٧١٨) فليراجع

الطقوس القديمة قدم بلادنا موخرًا الدكتور كدرنفتون من لندن. وهو من علماء الانكليز الولعين بحب الطقوس الشرقيّة القديمة. وكان درسهُ لهذه الطقوس سببًا لاهتدائهِ الى الكنيسة الكاثوليكيّة. وغاية سفره ان يبحث عن الرتب بحثًا تامًّا ويبيّن اصولها وما يتّفق منها بين الكنائس وما يختلف. ولمَّا سمع ان اصحاب مدرسة الكريم كانوا بالبحث عن الطقوس القديمة نزل عندهم ضيفًا مكرمًا فاخذ عنهم بعض افادات مهمّة. ويسرُّنا بهذه النسبة ان نفيد القرّاء انهُ يوم عيد العنصرة قد اقام غبطة السيّد البطريرك مار الياس الحويك قدّاسًا احتفاليًا جرى فيهِ على مقتضى الرتب القديمة كما نصّ عليها العلّامة الدويهي في كتاب منارة الاقداس. وقد قام بالخدمة حضرة الاب ابراهيم حرفوش احد اساتذة الكريم الافاضل وشمامسة مدرستهم العامرة. فنثني على همّة الجميع ونتمنّى ان يسعى اصحاب كل الطقوس الشرقيّة في احياء ما دثر من رتبهم الجليلة

اسئلة واجوبة

س سألنا من عندنت جناب الاديب ابرهيم افندي عبد الجليل ما هي قوانين اشتراك الكهنة بالتقديس وهل يجوز للكهنة الموارنة ان يقدسوا اين شاءوا ودون الملابس الكهنوتيَّة وهل يجوز لهم ان يأخذوا حسنة القداسات اذ لم يقدسوا قداساً كاملاً وهل يجب عليهم ان يتناولوا كلهم جسد الرب

اشتراك الكهنة بالتقديس

ج قد مرَّ في المشرق (١: ٧٧٦—٧٨٦) مقالة مطوَّلة في هذا الشأن فلتُراجع. امَّا ما يجوز للكهنة الموارنة من هذا القبيل فهو مدوَّن في المجمع اللبناني (الطبعة الجديدة ص ٢٢٨) حيث ورد ما نصُّهُ:

« نأمر ونحتم اولاً بانهُ متى اراد عدَّة من الكهنة ان يقدسوا معاً وجب عليهم ان يتشحوا بالملابس المقدسة ويتلوا كل الليترجية بصوت جهير او منخفض وفقاً لما نصَّ في سنارة القداس بلا اغفال شيء منها . . . ثم يتناولوا جسد الرب ودمه واحداً واحداً طبقاً المرسوم في كتاب سنارة القدَّاس. ونعلن ان المقدسين معاً على هذا الوجه يوفون فرض التلاوة سواء كان عن الاحياء او عن الاموات ويوفون ايضاً الحسنات التي اخذوها بهذه الحجَّة. على اننا لا نسمح لهم بتلاوة القداس متحدين اين شاءوا بل فليقتصروا على ذلك في الاعياد الاحتفاليـة او في جناز الموتى اذ الجثة حاضرة او في تذكارهم السنوي ومن اهمل شيئاً جوهرياً او تجرَّد من الملابس الكهنوتية فليعلم انهُ لم يقدس قداساً كاملاً ولم يوفِ الصدقات التي جمعها بحجة القداس او ان يقدس ويتناول على حدة بحسب الاصول »

وقد جرت العادة ان يكتفي الكهنة بالبطرشيل بدلاً من الحلَّة الكهنوتيَّة التامَّة. ولعل الرؤساء تساهلوا ايضاً في امور اخرى كالتقديس في بعض ايَّام الاسبوع غير الاحد الَّا اننا لم نجد نصاً صريحاً على ذلك

س سألنا احد الافاضل من معلّمي مدرسة الحكمة الزاهرة من هو اورياما الذي يتكرَّر ذكرهُ في كتاب الشهر المريميّ للاب موزاركي

اورياما

ج هو الاب ثوما اورياما (Th. Auriemma) اليسوعيّ وُلد في نابولي سنة ١٦١٤ وتوفي فيها سنة ١٦٧١ لهُ تآليف روحيَّة عديدة منها كتاب معنون « العبادة لمريم العذراء مؤيدة بالامثال واخبار الصالحين » وعنهُ اخذ الاب موزاركي اخباره لاكثر ايَّام الشهر المريميّ

ل. ش